تجليات التراث

في رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل

إعداد

الباحثة / وفاء محمد محمد يوسف

إشراف

أ.د /عثمان محمد عثمان الغزالي

الأستاذ بكليتي الاداب والتربية جامعة الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده تتم كل الصالحات، سبحانه لا إله إلا هو، نحمده كثيرًا، ونشكر فضله في كل وقت وحين، نشهد أنه خاتم الرسل سيدنا محمد عليه أفضل ا لصلوات وأتم التسليم.

أما بعد

فيعد محمد حسين هيكل (20 أغسطس 1888/ 8 ديسمبر 1965) شاعراً وأديباً وسياسياً مصرياً، ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث.

كتب وألف عدد من المؤلفات الأدبية في الرواية، والسيرة الذاتية والمذكرات وغيرها. تأثر الكاتب المبدع محمد حسين هيكل إلى حد كبير بالاتجاه الرومانسي -خاصة بالفيلسوف جان جاك روسو- وقد بدا ذلك جليًا في رواية "زينب" التي تعد أول رواية عربية باتفاق النقاد، حيث تدور أحداثها داخل ثنائية (المجتمع / الطبيعة) هذه الثنائية التي تجلت بصورة واضحة في شخصيات الرواية، فـ "حامد" هو الشخص الذي يجسد المرأة الصافية الطبيعة حيث تنسجم تصرفاته مع محيطه الطبيعي، أما "زينب" و"حسن" و"إبراهيم" فهم أشخاص ينتمون إلى نماذج مجتمعية تعيش داخل تقاليد وأعراف فرضت عليها من محيطها الاجتماعي؛ لذلك فهي خارج دائرة الفعل باستمرار، تتلقى الأوامر والإرشادات الأخلاقية من محيطها الاجتماعي دون نقد أو مراجعة، والصراع في الرواية قائم على هذه الثنائية.

وكون هذه الرواية لها قيمتها الأدبية، والسياسية، والاجتماعية التي تزداد مع تقدم العمر، وهذا لا يخفى على كل من قام بدراستها أو اطلع عليها، فقد وجدت في القصة جانباً مهماً وواضحاً لم يلتفت إليه الدارسون هو المرجعيات التراثية وتجليات التراث في رواية محمد حسين هيكل، لذلك اتجهت لدراسته مستعينة بالله تعالى على دراسة "تجليات التراث في رواية زينب لمحمد حسين هيكل" ومن ثم كان عنوان هذه الدراسة:-

"تجليات التراث في رواية زينب لمحمد حسين هيكل"

أهمية الدراسة:

وتأتي أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1) الرغبة في الوقوف على دقائق "أنماط التراث الديني والتاريخي الاجتماعي" عند محمد حسين هيكل، فقد قدم فيه جهدًا مشكورًا جديرًا بالاهتمام فيما يتعلق بالأدب العربي.
2) اختيار عنوان الرواية "زينب" التي تعد نافذة للقارئ لفهم مضمون الرواية، حيث إنني أعتمد على الرمزية وربطها بالواقع، و"زينب" من الأسماء الريفية، والرواية تعبر بصدق عن الريف المصري بتحولاته وتغيراته، كما أن هذا الاسم يناسب كل الأزمنة، ومتداول في زمننا الحالي.
3) احتواء رواية زينب على عدد من المرجعيات التراثية (دينية وسياسية واجتماعية وتاريخية) تصور الحقبة التاريخية التي عاشتها مصر في ذلك الوقت.
4) اعتزاز محمد حسين هيكل بالتراث العربي والإسلامي رغم انفتاحه على الثقافة الغربية.

أسباب اختيار الموضوع:

1) الرغبة في البحث في التراث الريفي المصري، وكيفية توظيفه، والكشف عن تأثير التراث بمختلف أنواعه على روايته "زينب".
2) الكشف عن التجليات التراثية في الرواية.
3) الوقوف على بعض أنماط الحياة الاجتماعية للفلاح المصري، وعاداته وتقاليده ومعتقداته بين ما هو مقبول، وما هو منبوذ.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج البنيوي، الذي يهدف إلى فهم المستويات المتعددة للرواية الأدبية ودراسة علائقها والعناصر المهيمنة عليها منسجمة ومؤولة، وتعد الرواية كلًا شاملًا مكونًا من عناصر مختلفة متكاملة تحدد في نهاية الأمر البنية الأدبية المتكاملة.

الدراسات السابقة:

1) **البنية الإحالية في رواية زينب لمحمد حسين هيكل**، وافية خيال، لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي كلية الآداب، جامعة العربي بعد مهيدي – أم البواقي – الجزائر، 2015/ 2016.
انقسمت الدراسة إلى مقدمة، ومدخل، وفصلين الفصل الأول بعنوان: الإحالة عناصرها ودورها، والفصل الثاني بعنوان: الإحالة دراسة تطبيقية لرواية زينب.
2) **رواية زينب لمحمد حسين هيكل بين التأسيس والتسييس**، مفقودة صالح، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة (ع) 10 نوفمبر 2006.

تقسيمات البحث:

يقع البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت المصادر والمراجع وبيانها كالتالي:

- المقدمة: وتضمنت أهمية الدراسة، مشكلة البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث.
- المدخل: وعرضت فيه محمد حسين هيكل وإبداعه، التراث (المفهوم والمصطلح) – مضمون الرواية - البيئة المصرية أو الريف المصري التي وقعت فيه أحداث الرواية.
- المبحث الأول: العناصر الروائية (الزمان – المكان – الأشخاص – الأحداث – العقدة والحل).
- المبحث الثاني: "المضامين التراثية في الرواية:
  - أولًا: التراث الديني.
  - ثانيًا: التراث الاجتماعي.
  - ثالثاً: التراث التاريخي.
- المبحث الثالث: المعتقدات الشعبية في الرواية زينب ويتضمن الآتي:
  - أولًا: التبرك بأولياء الله الصالحين
    - تبرك الريفيين بأولياء الصالحين
    - التصوف
    - المتصوف
    - موقف حامد من الشيخ مسعود وجماعة الذاكرين
  - ثانيًا: الحسد
    - سمات الحاسد في المعتقدات الشعبية
    - الرقى والبخور

وأخيرًا الخاتمة، واشتملت على أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع، والفهارس:

المدخل

- **حياة هيكل وإبداعه**
- **التراث: المفهوم، المصطلح**
- **الريف "المصري الذي دارت فيه أحداث الرواية ".**

محمد حسين هيكل:

ولد السياسي المصري والأديب المؤرخ محمد حسين هيكل سالم في 20 أغسطس 1888م الموافق 12 ذو الحجة 1305ه في قرية (كفر غنام) بمحافظة الدقهلية لأبوين موسرين. أتم دراسته الابتدائية في مدرسة الجمالية (1901) ثم المدرسة الخديوية التي حصل فيها على البكالوريا عام (1905)، ثم مدرسة الحقوق وفيها تخرج (1909). وفي عام (1907) تألف حزب الأمة، وأصدر الجريدة برئاسة أحمد لطفي السيد، وكان هيكل من كُتَّابها، وهو ما يزال طالبًا بالحقوق، وبعد تخرجه سافر إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه، وكان عنوان رسالته (دَين مصر العام). وبدافع من الحنين إلى مصر كتب رواية (زينب) (1913).

يرى النقاد أن رواية (زينب) أول رواية عربية بالمعنى الفني للكلمة، وفضلًا على أنها أدت دورًا أساسيًا وبخاصة في طبعتها الثانية (1929) – في تطوير الرواية المصرية بل العربية بوجه عام، واجتذبت إلى حقل الكتابة الروائية زملاءه المشهورين (طه حسين – المازني – الحكيم – العقاد وغيرهم) ممن ترسموا خطاه في رواياتهم[1]:

أصبح يعرف بالدكتور هيكل، المحامي، ثم الصحفي ثم السياسي ثم الوزير ثم رئيس مجلس الشيوخ ورئيس حزب الأحرار الدستوريين، وفوق هذا كله وقبله وبعده المفكر الكتاب، وهي الصفة التي كان يعتز بها فوق أي صفة أخرى[2].

الدكتور هيكل صاحب ذوق أدبي، وكانت اهتماماته إنسانية الطابع، ونشاطاته متعددة الجوانب، لذلك كان لابد من آثار أدبية له، وهي إن كانت ذات قيمة فنية لا تتكرر، إلا إنها لم تكن المجال الأساسي لنشاطه الفكري، إنما كانت في الأغلب أثرًا من آثار تفكيره السياسي. حتى رواية زينب لم تعد هي أيضًا أن تكون أثرًا لهذا التفكير، حسبك أن تعلم أنه استتر وراء لقب (فلاح مصري) وهو يقدمها للناس، ولم يمكن استعمال هذا الستار في وقت صدور هذه الرواية إلا تفكيرًا سياسيًا. (فالفلاح) و(المصري) هما مصراعا الباب من طراز من التفكير بدأت بشائره في أخريات القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وقف في مواجهة الدعوة إلى الإسلام والولاء لتركيا، وكانت وقائع الدولية تصورًا لمجتمع القرية المصرية، وما احتوته من علاقات تربط بين عناصرها المختلفة[3].

وهي لهذا تعد نقطة بداية مبكرة في تاريخ الفكر السياسي في مصر، بقدر ما تعد نقطة بداية لتاريخ الرواية المصرية أيضًا. وهي بداية ذات أهمية وخطر بعيدين، فهي لكاتب مصري، استأثرت به الأحداث السياسية في بلاده استئثارًا كاملًا، فقد كتب في هذه

---

(1) حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث، بتصرف، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2015، 66.

(2) محمد حسين هيكل: مذكرات الشباب، المجلس الأعلى للثقافة، 1996، ص1.

(3) فتحي رضوان: عصر ورجال، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008، ص214.

الأحداث، وتأثر بها، ثم أُتيح له أن يؤثر فيها، وقد بدت مصريته منذ أن كتب روايته الجميلة زينب[4].

محمد حسين هيكل – فيما سبق ذكره – فلاح المولد، والنشأة؛ فقد تأثر بالريف المصري منذ نعومة أظافره؛ مما أثر في إنتاجه الأدبي، فرواية زينب تعد ثمرة نشأة هيكل، التي صورت الريف المصري، وما يشمله من أحداث اجتماعية تتضمن موروثاً ثقافياً واجتماعياً وعادات وتقاليد، بل أثرت في اختياره عنوان روايته؛ فقد أُقتبت بـ(فلاح مصري)، ثم أُطلق عليها في نهاية المطاف (زينب). وزينب من الأسماء الريفية التي يعتز بها الريفيون القرويون نسبة لآل الرسول ε فكثير من الريفيين يسمون بناتهم بهذا الاسم. فهذا الاسم أكثر انتشارًا في ريفنا المصري أكثر من المدينة، كما يتميز عنوان روايته بالإيجاز وشمولية المحتوى. فهذا المسمى يثير في المتلقي تساؤلات وأفكاراً شتى تجاه مضمون الرواية.

وليست زينب وحدها هي كل ما خلف الريف في نفس هيكل، فإن أثر الريف في فنه وفي خلقه وفي طبعه وأسلوبه أقوى من أي أثر آخر. فقد كان هيكل أعظم وصاف بين كتاب جيله، وهو في هذه الميزة قد وصف الطبيعة كعادته في أسلوبه التصويري الجميل، وهذا الأثر يرجع لنشأته في الريف[5].

ينقسم نتاجه الأدبي إلى مقالات ودراسات وروايات، ومن أهم مؤلفاته:

- رواية زينب 1914.
- في أوقات الفراغ 1925 مجموعة رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية.
- عشرة أيام في السودان 1927.
- تراجم مصرية وعربية 1926.
- كتاب مشترك (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري).
- ثورة الأدب 1933.
- مقالات ودراسات أدبية تعرض فيها للثورة الأدبية في مصر.
- ولدي 1933.
- حياة محمد 1935
- الصديق أبو بكر (1942، الفاروق عمر 1944).
- هكذا خلقت 1955. قصة طويلة.
- الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة (1960).
- الإيمان والمعرفة والفلسفة (1964).
- عثمان بن عفان: بين الخلافة والملك (1964).
- قصص مصرية (1969).

---

(٤) **المرجع السابق، ص214، 215**

(٥) عبد العزيز شرف: محمد حسين هيكل والفكر القومي المصري، دار الحيل، بيروت، ط1، 1992، ص57

- شروق وغروب[6].

فالعمل السردي الروائي، هو حكاية بمعنى أن يثير واقعة أي حدث وقع، وبالتالي يفترض أشخاصًا يفعلون الأحداث ويختلطون بصوره المروية مع الحياة الواقعية، الشخصيات في رواية (زينب) يفعلون الأحداث، ويختلطون بصورة المروية مع الحياة الواقعية، فهم يجسدون أحداثًا ووقائع وقعت بالفعل، فهي شخصيات روائية مفترضة.

تتكون الرواية، من مجموعة الأحداث التي تقع، أو التي يقوم بها أشخاص تربط بينهم علاقات، فتحفزهم حوافز تدفعهم إلى فعل ما يفعلون[7].

فالمتأمل لعنوان الرواية (زينب) يجد أن هناك علاقة بين العنوان، ومحتوى الرواية.

إن عنوان الرواية: (زينب) مناظر وأخلاق ريفية يمكن أن تكون إجمالاً لكل جوانب الرواية، وإشارة لأهم المنابع التي ارتوت ثقافة الكاتب بها. والرواية تحمل اسم (زينب)، وربما شخصية (حامد) هي الأقوى وضوحًا، ولكن زينب اسم أنثوي مُلفت، وهي ابنة القرية، وصنعت مشهد الختام. في حين أن (حامد) ابن مالك الأرض يعيش في القاهرة (لاحظ صلته المباشرة بشخصية الكاتب)، يتردد على القرية في العطلة الصيفية وغيرها، وله حبيبة سابقة على زينب هي عزيزة ابنة عمه، والأهم من هذا: ابنة طبقية، وهي تعيش في القرية، على مستواها الخاص، ولكن الذي يجمع بين هؤلاء الثلاثة، أنهم يحلمون بالتغيير ويعجزون عن تحقيقه، وهذا ملمح رومانسي مهم، ولهذا تطيح الآمال، ويتساقطون ضحايا بشكل أو بآخر، تموت زينب مريضة بالسل لما تعاني من حرمان الحب، وتساق عزيزة إلى زواج لمن لا تهوى، فتغيب أخبارها، ويهيم حامد في وجهه يخفي مكانه عن أسرته، ويصف أحواله وآماله الخائبة، ويعبر عن طموحه إلى مغامرة تعويضية جديدة، يفعل ذلك في رسائل يبعث بها إلى والده من مكانه المجهول، لتكون ختام الرواية.

وأخيرًا:

يتميز إبداع الكاتب محمد حسين هيكل في روايته (زينب) بالإبداع الفني، حيث تخلص من سيطرة السجع وأسلوب المقامات الذي كان شائعًا في فترة ما قبل كتابة هذه الرواية، واستخدم كثير من الألفاظ والعبارات العامية، والأمثال الشعبية، وتعابير الحياة اليومية، ووصف الريف وصفًا دقيقًا وأخلاق الريفيين، الوصف الدقيق للمجتمع المصري بما يحمله من عادات وتقاليد، خصوصًا طبيعة الريف المصري.

يعد التراث ثقافة الأمة ومخزونها الحضاري الذي يتوارثه الأجيال، فهو السجل الذي يحمل ثقافة الشعب بمختلف أنواعه من تراث ديني وشعبي وغيره، فرواية زينب لمحمد حسين هيكل مرآة لتراث مصر في تلك الحقبة، فهذه الرواية ثرية بمخزون ثقافي يمثل واقع

---

(٦) مفقودة صالح: رواية زينب لمحمد حسين هيكل بين التأسيس والتسييس، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد حيضر لسكره، ع 10، نوفمبر 2006، ص208

(٧) يمني العبد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان ص43.

الشعب وآرائه وآلامه، وقبل الخوض في الحديث عن التراث لابد أن نتطرق إلى تعريف التراث لغة واصطلاحًا.

مفهوم التراث لغة:

لقد ورد تعريف كلمة (تراث) في لسان العرب (لابن منظور) يقول: "التراث مشتق من الفعل الثلاثي (وَرَثَ) ورث الشيء ورثًا، ووراثة، وإراثة، وأورث الميت وراثة ماله أي تركه له، وتورثاه ورثه بعضًا عن بعض قدمًا، والميراث ما ورث أو ما يخلفه الرجل لورثته"[8].

كلمة التراث في مادة (ورث). ولعل أقدم النصوص التي ظفرنا بها في مجال هذه الكلمة هو النص القرآني الكريم: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا" (سورة الفجر 19) يعني على أهل الجاهلية منعهم توريث النساء وصغار الولدان وأكلهم لأنصبائهم الموروثة. وكانوا يقولون في جاهليتهم: (لا يأكل الميراث إلا من يقاتل ويحمي حوزة القوم). كما كانوا يلمون لما جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام، ويسرفون في إنفاقه.

ومما ورد في الشعر القديم قول سعد بن ناشب، وهو شاعر إسلامي كان بلال بن أبي بردة قد هدم داره لأنه أصاب دمًا في قوم:

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها تراث كريم لا يبالي العوافبا

وظلت كلمة التراث محدودة المعنى والاستعمال، وتنوب عنها أختها في الميراث في كثير من الأمر إلى أن دخلنا في هذا العصر الحديث، فألفينا هذه الكلمة تشبع بشيوع البحث والتنبيش عن الماضي: ماضي التاريخ وماضي الحضارة والفنون والآداب، والعلم، والقصص. وكل ما يمت إلى القديم بصلة[9].

اصطلاحًا:

التراث؛ ما يتوارثه شعب من الشعوب جيلًا بعد جيل من آداب وعلوم وفنون وعادات وتقاليد وخبرات، فيصبح كل ذلك عبر الأزمان جزءًا من الإحسان الوطني، والاعتزاز القوي لدى أفراد ذلك الشعب[10]، ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية، مما يعد نفيسًا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه[11].

حدود التراث ومقوماته:

إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي، فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد هذا الماضي، فبعضهم يرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، ويعرف التراث بأنه "كل ما ورثناه تاريخيًا، وما وصل إلينا من الماضي داخل

(8) ابن منظور: لسان العرب، المجلد15، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003، مادة ورث، ص199.

(9) عبد السلام هارون: قطوف أدبية، دراسات نقدية في التراث حول تحقيق التراث، الدار السلفية لنشر العلم، ط1 نوفمبر، 1988، ص102

(10) نواف نصار: معجم المصطلحات الأدبي، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص71.

(11) مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص93.

الحضارة السائدة. وأما بعض الباحثين فيرى أن التراث هو ما جاءنا من الماضي البعيد والقريب أيضًا"[12].

واختلف الباحثون حول تحديد مقومات التراث، كما اختلفوا حول تحديد الحقبة الزمنية التي ينتمي إليها، يعرف التراث بأنه "الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية: العقيدة، الشريعة، واللغة والأدب والفن، والكلام، والفلسفة، والتصوف"[13]، فيوسع مفهوم التراث ليضم إلى الجانب الفكري الجانبين الاجتماعي كالعادات والتقاليد...، والمادي كالعمران[14].

انطلق الباحثون في تحديد مقومات التراث من قاعدة أن الحاضر هو غير الماضي، وأن ثمة مستجدات ومتغيرات حدثت في الحاضر، وأدت إلى إلى سقوط جوانب من التراث؛ لأنها لم تعد صالحة للبقاء والعيش في الحاضر، فهناك نمطان من التراث:

1) ما وافق عصره وصلح له، وانقضى بانقضائه؟
2) ما وافق الإنسان واستمر به ولمصلحته، وعاش حتى الوقت الراهن[15].

لقد ظل التراث لمدة طويلة يتحدد بمدة زمنية تنقي إلى الماضي، ولكن هذه النظرة بدأت تتغير، وأصبح التراث لا يدل على فترة زمنية محددة بل يمتد، حتى يصل لدى الحاضر، ويشكل أحد مكونات الواقع/ الحاضر، كالعادات والتقاليد والأمثال الشعبية[16].

التراث -فيما سبق ذكره- يمثل المخزون الثقافي، والمادي للأمم والشعوب السابقة التي ما زالت تعيش في وجدان أبنائها في الحاضر، فكل ما مضى ويعيش في وجدان الشعب، فمجمل حياته الخاصة يعد تراثًا، فالتراث هو مجموعة من النتاج الثقافي والاجتماعي والمادي لأفراد الشعب، فكل طبقة من طبقات الشعب على اختلاف أجناسها، قد أنتجت تراثها الخاص، فالمجتمع العربي يتكون من نوعين من التراث تراث الخاصة، فهذا التراث ينال قدرًا كبيرًا من الاحترام والتقدير، ويخص الطبقات الأرستقراطية، وتراث العامة الذي يواجه الازدراء والاحتقار.

الرواية:

هي فن من فنون النثر الأدبي قائم على الحكاية ينتظم في سلسلة من الأحداث الحقيقية أو المتخيلة، وتقوم بها شخصيات أو قوى معينة، وتستغرق قطاعًا عريضًا من الزمن، وتجتمع فيها عناصر تختلف أهميتها بحسب نوع الرواية، ويربط ذلك كله حبكة ترتفع بها

(١٢) محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص19.
(١٣) محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991، ص30
(١٤) فهمي جدعان: نظرية التراث، دار الشروق، ط1، عمان الأردن، 1985، ص18
(١٥) نعيم اليافي: أوهاج الحداثة، دراسة في القصيدة المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1993، ص50
(١٦) فهمي جدعان: نظرية التراث (مرجع سابق)، ص25.

إلى التأزم الذي يصل مداه قبل النهاية، فيأتي الحل إيجابيًا أو سلبيًا، أو تكون النهاية مفتوحة لا تقدم حلًا؛ بل تدفع القارئ إلى المشاركة في الصراع والبحث عن حل للتأزم والعقدة[17].

الرواية التي تطرح قضية اجتماعية أو سياسية أو دينية، وتتناولها بطريقة مباشرة أحيانًا بغية لفت انتباه الناس إلى جانب القصور في المجتمع[18].

رواية زينب طرحت مجموعة من القضايا المتشابكة في المجتمع المصري في تلك المدة تتمثل في قضايا اجتماعية وسياسية، ودينية؛ فقد طرحت رواية (زينب) الجانب الديني لمحمد حسين هيكل.

وجدير بالذكر أن حامدًا بطل رواية (زينب) التي كتبها هيكل في فرنسا وسويسرا في تلك الحقبة يعكس هذا الجانب من شخصية المؤلف: فهو تارة مؤمن بالله، وتارة يبدو كأنه يتحدى الحساب، وتارة لا يرى بعد الدنيا من شيء سوى العدم. وهو في كل الأحوال لا يصلي، وإن ظن الناس في القرية أنه شاب متدين. حتى نظرته إلى الزواج تخالف تمامًا نظرة الدين إليه. ثم إنه لا يكف عن تقبيل زينب واحتضانها كلما سنحت له سانحة، بل إنه ليشهد الله ذات مرة على قبلة أخذها منها[19].

عرض أيضًا محمد حسين هيكل الحياة الاجتماعية للفلاح المصري.

لقد وصف هيكل وصفًا حيًا دقيقًا عمل الفلاحين في الحقول، سواء وهم يجمعون القطن أو ينقون الدود أو يسقون الأرض بالطنبور أو بالساقية أو يزرعون البرسيم أو يحصدون القمح أو يدرسونه، كما استطاع أن يجعلنا نشاهدهم عن كثبٍ وبوضوح، بل ونسمع لغطهم وهم يتسلمون أجرة الأسبوع من الكاتب ليلة السوق. حتى المسجد لم يفت الكاتب أن يرسمه رسمًا كله حيوية، برغم أن هذا الوصف بالذات لا يندمج مع بقية عناصر القصة اندماجًا عضويًا. إن كل صفحة في القصة تعكس شيئًا من حياة الريف في الحقول أو في داخل القرية والبيوت. حتى الشعب الذي ينمو على ضفاف الجداول لم يفت الكاتب أن يقف عندما يضعه تحت أبصارنا بالطريق نحس معها أننا يمكننا أن نمد يدنا ونلمسه لمسًا[20].

لقد وصف هيكل لنا حياة الفلاح المصري بكل تفاصيلها ليعكس لنا حياته الاجتماعية، وما خلفه من تراث شعبي مصري أصيل تتوارثه الأجيال، فالفلاح حريص على المحافظة على تراثه، فهو يرثه من أجداده، ويورثه لأجيال القادمة.

---

(١٧) مجمع اللغة العربية: معجم مصطلحات الأدب، إشراف فاروق شوش؛ محمود مكي، القاهرة،2007، ص81.

(١٨) المرجع السابق (نفسه)، ص85.

(١٩) إبراهيم عوض: محمد حسين هيكل أديبًا وناقدًا ومفكرًا إسلاميًا، مكتب الزهراء، 1998، ص59

(٢٠) المرجع السابق نفسه، ص99، 100.

المبحث الأول

تجليات التراث الديني والتاريخي في رواية زينب

1) التراث الديني.
2) التراث التاريخي الاجتماعي.
3) التراث الاجتماعي.

التراث الديني:

يعتبر التراث الديني من أهم المصادر التي استلهم منها الروائيون المعاصرون موضوعاتهم، وأسقطوها في أعمالهم القصصية لارتباطه الوثيق بوجدان الناس، ولتأثيره الكبير في نفوسهم لماله من قدسية ولصق تجارب شخصياته كالأنبياء بحسب اعتقاد أصحابها، ومن بين الاستخدامات التراثية نجد توظيف النصوص الدينية في الرواية من أنجح الوسائل؛ وذلك لخاصية جوهرية في أن هذه النصوص تلتقي مع طبيعة البشر نفسها، وهي مما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيًا أو شعريًا، وهي لا تمسك حرصًا على ما يقوله فحسب، وإنما طريقة القول وشكل الكم أيضًا، ومن هذا يصبح توظيف التراث الديني في الرواية – خاصة مما يتصل منه بالصيغ- دعمًا لاستمراره في حافظة الإنسان[21].

إن القارئ لرواية (زينب) يتجلى له بوضوح حرص الكاتب على توظيف التراث الديني في روايته، فالنصوص القرآنية مختزنة، والمعاني المستوحاة من القرآن كثيرة، والإيحاءات والأفكار متعددة؛ ولعل السبب يرجع إلى إيمانه بأن الاستلهام من القرآن الكريم أولًا، ثم الحديث الشريف له تأثير كبير في حياة البسطاء في المجتمع الشعبي، فالشعوب تواقة لمن يضرب على أوتار مآسيها، إذا علمنا أن هذه الشعوب قد أصبحت لا ترى حلًا إلا بالعودة إلى الدين الذي يتكفل ويتعهد بحل قضاياها ومشاكلها، هذا الدين الذي يخاطب قلوبها ومشاعرها وأحاسيسها؛ فتطمئن وتلجأ إليه، وتفتح قلبها له ولكل من اتصل به.

ولهذا نجد بأن الكاتب لا تكاد تخلو رواياته من الاستلهام الديني، وربما نجده في مواقع عدة من رواياته متناصة مع القرآن متناثرة في ثنايا سطور رواياته، تضفي على مضمونها ثراءً، وتمنحها قدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والفكري والأدبي؛ مما يساهم في قوة نصه وتطوير أفكاره؛ مما يزيده قيمة وفاعلية في وجدان الناس وجمالًا ورونقًا وبهاءً، فالاستلهام من القرآن الكريم هو حق مشروع، ومطلب محمود ودوره متميز، والقرآن الكريم أسمى من أن يكون مادة للابتذال والاستخفاف، وسوف نتطرق لما جاء في روايته من ألوان ذلك.

أشكال توظيف النص الديني:

تمثل العودة إلى التراث وقراءة نصوصه واستيعابها وتوظيفها في النصوص الروائية المعاصرة محاولة جادة في إبراز الملامح الخاصة بالثقافة العربية، وذلك أن لكل ثقافة نصوصًا خاصة بها، تعكس نصوصيتها وهويتها وكل نص له تفرده وخصوصيته داخل

([21]) صلاح فضل: إنتاج الدلالة الأدبية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط2، 2002، ص43.

الثقافة ذاتها، وبذلك فإن النصوص الدينية التراثية المستلهمة تتضافر لتحقيق وظائف فنية جمالية؛ لتوجه قارئ معاصر من سياق ثقافي واجتماعي[22].

وقد تنوعت مصادر النصوص التراثية الدينية في رواية زينب كما يلي:

أولًا: القرآن الكريم:

التناص الجُملي:

عمد هيكل إلى التعالق النصي مع الموروث الديني، فقد استخدم في روايته التناص المباشر وغير المباشر.

فيقول واصفًا طبيعة الريف: "ها هي ذي زينب في تلك السن ترنو إليها الطبيعة وما عليها بعين العاشق، فتغض طرفها حياء فإذا ما تنفس الصبح، وطلعت الشمس وبعثت بنورها على البسيطة وتلألأ الطل تحت أشعتها..."[23].

ويصف الصباح والطبيعة في موضوع آخر قائلًا: "فيرسلون في تلك الساعة النائمة ألذ ساعات الليل ضجتهم وجلبتهم، حتى إذا بدأ الصبح يتنفس هدأت الأصوات وسكت الوجود وساد القرية سكون عميق لا يقطعه إلا نباح الكلاب..."[24].

كان حامد كثير التذكر لصاحبته زينب، فكان يتذكرها في ساعات السكون من الليل حتى مطلع الصباح فيقول: "وحامد كثير الذكر لصاحبته إن وجد الوحدة والخلوة، قانع بالإخوان كلما اجتمع بهم، يشتد به الهيام أحيانًا فيحمله إلى الفضاء في الساعات الصامتة حين يتنفس الصبح وتطلع الشمس وتتهادى من مرقدها، ثم تعاوده السلوان فيه أيامًا..."[25].

يصف هيكل الحالة النفسية السيئة التي كانت تتملك حامداً المعذب بعذاب الحب، بعذاب ابنة عمه (عزيزة) تارة، وفق انه لصاحبته (زينب) تارة أخرى فلم يطق النوم في منزله، ولكنه آثر المكوث في أحضان الطبيعة فصار ينام عند مزرعة من مزارع القطن، وفي الصباح يرجع إلى أهله بعض ساعات.

"فإن أنت ابتعدت قليلًا غاب عنك وخرس صوت الليل، ولم يبق لك من أنيس، فإذا ما تنفس الصبح رجع إلى أهله بعض ساعة..."[26].

ولهذا التضمين في المواضع السابقة دلالة واحدة واضحة، تتمثل في الصبح الذي كان متنفس للجميع، فهو يرمز للأمل والتفاؤل للجميع سواء زينب أو حامد.

واقتبس الراوي (تنفس الصبح) من قوله تعالى: "والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس"[27].

---

(٢٢) إسلام فادي، سمية عروة: توظيف التراث الديني في رواية (قاتل حمزة لنجيب الكيلاني) مذكرة ضمن متطلبات نيل درجة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، كلية الآداب، 2017، 2018، ص41.

(٢٣) محمد حسين هيكل: زينب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2018، ص17.

(٢٤) المصدر (نفسه)، ص49

(٢٥) المصدر (نفسه)، ص70.

(٢٦) المصدر السابق نفسه، ص111

وقوله: "والصبح إذا تنفس"، يقول الطبري: "ضوء النهار إذا أقبل وتبين"[28].

ما ورد من مواضع شتى في روايته يتفق في المعنى مع الآيات القرآنية السابقة، كان حامد يمثل شخصية الكاتب هيكل الذي كان يتسم بالازدواجية الدينية، فكان في بعض الأحيان يحرص على المناسك الدينية، وما يتحمل العبادات، وأوقات أخرى لا يبالي، فكان يشبه من الروائيين؛ ولعل يرجع ذلك إلى انقضاء شطر من حياته في فرنسا، فقد حرص على سماع القارئ الفقيه مع أخي زينب فيقول: "جاء أخو عزيزة بآخر قطار ليمضي هو الآخر أيام العيد بالبلد، فلما رآه حامد أسرع إليه، وسلم عليه، وجلس معه ومع إخوته، وبقوا في سهرتهم طويلًا، ما بين حديث ولعب ورق وطاولة، وأخيرًا خرجوا ليسمعوا الفقيه القارئ يسمع آي الذكر ويرتلها ترتيلًا حسنًا"[29].

قول الراوي: "يسمع آي الذكر ويرتلها ترتيلًا حسنًا" يتعالق مع قوله تعالى في "ورتل القرآن ترتيلًا"، أي ترسل في قراءته وبينه تبينا[30].

ما ورد في موضع الرواية يتفق اتفاقًا كليًا مع مضمون الآية الكريمة، والريفيون حريصون على الآيتين بقارئ فقيه يرتل القرآن الكريم ليستمعوا إليه ويتدبروا معانيه، فقد حرص حامد على الاستماع إلى القارئ الفقيه وهو يرتل القرآن الكريم ترتيلًا.

يتذكر حامد زينب عندما رآها في الفرح، فكانت عابسة تائهة، لقد تبدلت أحوالها، فكانت ذات وجه ضاحك مستبشر، فيقول: "... كأنها تنظر له نظرة استرحام فامتلأ قلبه بالرحمة والعطف على ذلك الخيال الجميل المحبوب، وودّ لو يسأله عن سبب أساه. لقد عرفها ضاحكة السن مستبشرة"[31].

قوله "ضاحكة السن مستبشرة" يتعالق مع قوله تعالى: "ضاحكة مستبشرة"[32] أي مسرورة فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء أهل الجنة[33].

وكأنما أراد الكاتب أن يشبه زينب في وداعتها وبراءتها، والسرور الذي لا يفارق وجهها، وحالها بحال أهل الجنة، فزينب تمثل للكاتب الطهارة والبراءة، والنقاء.

كان خبر زواجها سببًا في تعاستها وشقائها، فزالت البسمة، وحل محلها العبوس، فكان حامد يشبه بيت زوجها حسن بالقبر، وأهل زوجها بملائكة العذاب فيقول: "... وكأنما دار

([27]) سورة التكوير: الآيتان 17، 18.

([28]) محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري تم: بشار عواد معروف، عصام فارس، مجلد، مؤسسة الرحالة، 1994، ص471

([29]) المصدر السابق، ص26

([30]) أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص1691

([31]) المصدر السابق، ص30

([32]) سورة عبس، الآية 39

([33]) أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2000، ص163

ذلك الزوج الذين يريدون لها قبر تحتله زبانية الجحيم، وكلهم ينتظرها بعيون براقة يمتدها خط من النار ذات اللهب"[34]. قوله: "زبانية الجحيم" يتعالق مع قوله تعالى: "سندع الزبانية}"[35]. وهم ملائكة العذاب، حتى يعلم من يغلب: أحزبُنا أم حزبه، قال أبو جهل "لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه"، فبلغ النبي ε فقال: "لئن فعله لأخذته الملائكة"[36].

وقول الكاتب "زبانية الجحيم" وتشبيه أهل زوجها بزبانية الجحيم للتهويل، بئس مصير تلك الفتاة، فالفتاة البريئة ستذهب من الدار إلى النار، فحالها يرثى له.

يصف هيكل حياة الفلاح من كد وتعب طوال اليوم من أجل الحصول على رزقه، ولكن هيكل لا يرضى عن النتيجة التي يحصدها الفلاح من عمله طوال اليوم، فيصف طعامه مثل (الزقوم) فيقول: "... ويعمل غدًا ما عمله اليوم، وبعد غد يعمله في الغد، وإن انتقل فمن شقاء إلى شقاء ويرجع في المساء –إن رجع- إلى بيته مهدود القوى منهوكًا لاغبًا، فيطعم زقومًا وعلقمًا..."[37].

وقوله: (فيطعم زقومًا) يتعالق مع قوله تعالى: "إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم"[38] أي الشجرة التي تثمر الزقوم وهي من أخبث الشجر ثمرًا مرارة وقبحًا، ثمرها طعام الأثيم أبي جهل وأصحابه من ذوى الآثام الكبيرة"[39].

أراد هيكل أن يشبه حياة الفلاح، وطعامه كحياة الكفار في الآخرة، فالأجر الذي يتقاضاه نتيجة كده وتعبه لا يتناسب مع تكاليف الحياة، فأجره لا يوفر له أبسط مقومات الحياة الكريمة، فهو معذب في الدنيا عذاب الكفار في الآخرة.

كان خليل والد العريس حسن يقدم المشيئة بأمر تكاليف الزواج، فكان بيع محصول القطن ميسرًا لهم في تكاليف زواج حسن من زينب فيقول: "قال عمي خليل وهو هادئ النفس مرتاح البال: إن شاء الله، إن شاء .... لما نبيع القطن يحلها ربنا"[40].

فقول خليل (إن شاء الله) يتعالق مع قوله تعالى:

- "قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون"[41].
- "فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين"[42].

([٣٤]) المصدر السابق، ص40
([٣٥]) سورة اقرأ، الآية 18
([٣٦]) أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: مرجع سابق، ص2010
([٣٧]) المصدر السابق، ص45
([٣٨]) سورة الدخان 43، 44
([٣٩]) أبي الفداء إسماعيل القرشي: المرجع السابق ص1441
([٤٠]) المصدر السابق ص46
([٤١]) سورة البقرة 70
([٤٢]) سورة يوسف 99

- "قال ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا"[43].
- "قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين"[44].
- وأيضاً قوله تعالى: "ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله"[45].
- "فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل مع تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين"[46].
- "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين..."[47].

يصف هيكل جموع المصلين مؤدين الصلاة، فكان الإمام يتعجل في قراءة آيات القرآن الكريم في الصلاة، ولكنه كان يرفع صوته في قوله "إن الله مع الصابرين".

"ولما رأى الإمام أن قد هدأت الضجة ابتدأ الفاتحة يرتلها، وإن كان يتعجل في القراءة حتى إذا كان نهايتها، إذا صوت جاء من ناحية الحنفيات {إن الله مع الصابرين} وتبعه رجل يجري وسط المسجد مكشوف الذراعين، معطاهما بأكمامه حتى إذا استوى مع الصف ارتفع صوته بعد أن سكن الكل ينبه الإمام أن قد صار معهم، ولكنه ما أتم نداءه حتى جاءت {إن الله مع الصابرين} أخرى استوقعت الجميع لحظة من الزمن..."[48].

كان الإمام يتعجل في قراءة آيات القرآن الكريم بينها كان يتمهل في قراءة الآية الكريمة {إن الله مع الصابرين}، وكأنها بشرى لأولئك الفلاحين الذين يعانون ويلات حياتهم، بأن إليه سوف يكافئهم جزءًا لصبرهم، فكانت مصر في تلك الحقبة الزمنية التي كتبت فيها الرواية يعاني الفلاحون من الظلم وسطوة المالك، والفقر، وبعد سنة 1952 نال الفلاح المصري قسطًا من الحرية والمساواة الآية الكريمة {إن الله مع الصابرين} اقتباس واضح وصريح من قوله تعالى: {يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين}[49].

لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها؛

([43]) سورة الكهف 69
([44]) سورة القصص 27
([45]) سورة الكهف 23.
([46]) سورة الصافات 102
([47]) سورة الفتح 27
([48]) المصدر السابق 50
([49]) سورة البقرة 153

جاء في الحديث: "عجبًا للمؤمن. لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له: إن أصابته سراء فشكر، كان خيرًا له؛ وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له"[50].

التعالق مع المفردات ذات الدلالات الدينية

لقد تضمنت رواية زينب مفردات ذات بعد ديني ومصطلحات الأذان، وهذا يدل على الثقافة الدينية للكاتب، وأداء العبادات مثل (الصلاة)، وقد قام الكاتب بتناص دلالات المفردات المتعالقة، وذلك لإعطاء روايته قيمة فنية خاصة ذات تأثير عميق في نفس القارئ المتلقي بعد أن يمنحها رؤيته الخاصة. وهذا التوجه لدى الكاتب هو توجه واع ومقصود ولم يكن صدفة؛ لهذا فقد قمت بعملية استقراء واستقضاء لمجمل المواضع المثبتةً في روايته.

يقول هيكل: "... دخل أبوها راجعًا من الجامع، وقد قرأ الورد، وصلى الفجر..."[51].

كانت زينب من أسرة متدينة، فقد ذكر الكاتب أن أباها كان راجعًا من الجامع بعد تأديته صلاة الفجر، فهذا دليل قاطع على التزام الأب بتأدية فرائض العبادات، فصلاة الفجر -قلما يواظب عليها البعض- خير دليل على ذلك، والدليل على ذلك قول المؤذن (الصلاة خير من النوم) فهذا العبارة تختص في أذان الفجر دون الصلوات التي تليها، فلم يكتف الكاتب لذكر تأدية والدها صلاة الفجر، وإنما غادر المسجد بعد قراءة الورد [52] كذلك كان الفلاحون حريصين على أداء الصلاة في أوقاتها فيقول: "... فإذا انقضت صلاة الصبح رجع الكل إلى بيوتهم فمنهم من أكل فيها لقمة وانصرف إلى الغيط، وآخرون يستكملون حقهم من النوم يبقون فيه حتى صحوة النهار ومن بعدها يرجع هؤلاء المسنون إلى الجامع يتمطون فيه أو يقعدون يستعيدون حوادث الماضي وظلم إسماعيل، أو يتحدثون عما في قريتهم من حاضر الأمر. فإذا ما توسطت كبد السماء، وآن وقت الفريضة أدوها، ولم يكن بأسرع من أن يأخذ كل منهم مكانه ... وينتهون لصلاة العصر ثم من بعدها منهم من يذهب إلى الزرع، ومنهم من ينتظر نسيم المغرب الجميل في المسجد. وعلى هذا النمط يقضي الشيوخ حياتهم ... لا أمل لهم إلا أن يغفر الله لهم ويتقبل صلواتهم ودعاءهم ..."[53].

كانت حياة الفلاح محصورة بين الجامع تأدية الصلاة، والغيط وذكر الله، والتقرب إلى الله عز وجل والدعاء بأن يحفظهم ويتقبل صلاتهم ودعاءهم.

"دخل خليل وأخذ مكانه الذي تعوده والإمام يرفع أصابعه إزاء أذنيه ويكبر (الله أكبر) فترفع من ورائه أصوات المؤمنين تنادي هذا النداء بغير انتظام -فمنها العالي الرفيع حتى ليكون مزعجًا، ومن يردد الكلمة مرتين أو ثلاثًا كأنه لا يتحقق من قبول الأولى فيشفعها

([50]) أبو الفداء إسماعيل القرشي: المرجع السابق، ص22

([51]) المصدر السابق، ص104

([52]) الورد: عبارة عن كتيب صغير يتضمن أذكار الصباح والمساء من أدعية، وبعض ما تيسر من القرآن الكريم، أو الورد هو ما يحفظه صدر المسلم مما تيسر من القرآن الكريم، والأدعية، وذكر الله.

([53]) المصدر السابق، ص49، 50 بتصرف.

بالثانية...، ولما رأى الإمام أن قد هدأت الضجة ابتدأ الفاتحة يرتلها، وإن كان يتعجل في القراءة حتى إذا كان في نهايتها... {إن الله مع الصابرين}، انحنت أقواس هؤلاء العابدين رُكَّعًا حتى ليحسبهم الناظر من بعد كأنهم خيالات تموج وسط مساكن الجن. أو هم ملائكة مقربون لفتهم السماء ببردها. والليل يسقط من سقف المعبد العالي فينزل بالمصلين على جباههم سجدًا حتى يكادوا يستوون بالأرض خضوعًا وخشية... ثم يرجع فيوصي إلى الإمام قد سمع الله لمن حمده، فيلقاها الجمع وقلوبهم ملأى من خشية الله..."[54].

فحياة الفلاح لا تعرف سوى العمل والعبادة، والخشوع والتضرع إلى الله، والصبر من أجل الحصول على أرزاقهم، وإن كان لم تلبي احتياجاته، ولكن نفسه تملؤها الرضا والقناعة.

ولكن قد ذكر أن القلة القليلة التي أغضبته، هم المفطرون نهار رمضان، فعبر عن مدى استيائه منهم فيقول: "... لم يستطع حامد أن يشاهد هؤلاء الأشخاص، وفي الوقت عينه لم يقدر على أكثر من أن وجه لهم نظرة احتقار على تبجحهم. لو أنهم استتروا لهان ما يعملون. لكنهم يخرجون على الجماعة من غير حساب لمشاعر أحد، ويجرؤ عمه على أن يقدم لحامد هذا الكوز وهو يعلم أنه صائم، وكأنه بعمله يريد أن يظهر مبلغ تهاونه بهذا الفرض الذي يؤديه أهله جميعًا من سنين ماضية"[55].

قد أظهر هيكل الجانب السلبي في القلة المندسة الذين لا يدعون حق الله ويفطرون في نهار رمضان.

الحديث الشريف:

وردت الإحالات في رواية (زينب) إلى الخطاب الديني والتفاعل معه من خلال توظيف بعض الأقوال المأثورة للرسول ﷺ في ثنايا الرواية، وذلك لثقافته الدينية، وارتباطه بمجتمعه المتدين، أي يرجع ذلك لتنشئته الاجتماعية، ولهذا يتضح توظيفه للأحاديث النبوية الشريفة في الرواية بشكل مباشر أو غير مباشر.

يعبر حامد عن مدى استيائه من عمه عندما وجده يقلي ذرة على النار فقال: "لو أنهم استتروا لهان ما يعملون. لكنهم يخرجون على الجماعة من غير حساب"[56].

فهذا القول يناص مع حديث الرسول ﷺ:

عن سليمان بن زياد الحضرمي، أن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي حدثه: أنه مر وصاحب له بـ(أيمن) وفئة من قريش قد خلوا أُزُرَهم فجعلوها مخاريق يجتلدون بها وهم عراة. قال عبد الله: فلما مررنا بهم قالوا: إن هؤلاء قسيسون فدعوهم. ثم إن رسول الله ﷺ خرج عليهم، فلما أبصروه تبددوا، فرجع رسول الله ﷺ مغضبًا حتى دخل، وكنت وراء

([٥٤]) المصدر السابق، ص49، 50 بتصرف
([٥٥]) المصدر السابق، ص31
([٥٦]) المصدر السابق، ص31

الحجرة فسمعته يقول: "سبحان الله إلا من الله استحيوا، ولا من رسول الله استتروا". وأم أيمن عنده تقول: استغفر لهم يا رسول الله! قال عبد الله: ما استغفر لهم"[57].

فالمؤمن يستر نفسه، ولا يعلن معصيته، فعمه المطر لابد أن يستر نفسه ولا يعلن فعله أسوة بحديث الرسول ﷺ كان حامد كلما يخلو بنفسه يشعر بالتقصير تجاه أسرته؛ خاصة والده، ووالدته فيقول: "اللهم تعلم ما عن قصد أجرمت! أنت تعلم مقدار حبي لأمي وأبي، فاعف اللهم عن زلتي..."[58].

وهذا يتوافق مع قول رسول الله ﷺ: "تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة، وأن تَظْلِمَ أو تُظْلَمَ"[59].

دعا هيكل إلى الزواج؛ فهو سنة الحياة، فعندما وصفوا أسعد المقبل على الزواج بالمسكين قال الشيخ مستشهدًا بحديث الرسول ﷺ: "وتنحنح الشيخ خليل ثم قال: قال عليه الصلاة والسلام: تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"[60].

التراث التاريخي:

ليس هناك الماضي والحاضر، بل يتضافران ليصلا بأية أمة إلى أفاق رحبة، فالموروث له أثر كبير على الحاضر مما يعينه على رفع مستويات الأداء فيقول:

ومن ثم أصبح لزامًا على المعاصرين استقراء موروثهم مع الوضع في الاعتبار أن للنص التراثي حضورين اثنين أحدهما هناك في تاريخه الخاص، وثانيهما هنا في تاريخنا الخاص حين نقرأ هذا النص التراثي في ظل علاقات محددة لإنتاج المعرفة وشروط معينة تحدد طبيعة حياتنا وتوجهاتنا وصراعاتنا وعلاقتنا بما نقرأ أو ندرك مما ينشئ هذه العلاقة الجدلية بين حضور النص التراثي هناك وحضوره هنا، فالقارئ المعاصر يحاول أن يقرع عالمه هو في أثناء قراءته في عالم النص القديم ويأتي الاتصال بين العالمين على اتصال البعد القيمي لعالم القارئ المعاصر الذي يقع عليه عبء تقييم ضمني للرؤية التي ينطبق بها هذا النص: "على مستوى العالم التاريخي الخاص بالنص المقروء، وعلى مستوى العالم التاريخي الخاص بالقارئ في الوقت نفسه، وهذا الحوار الذي ينشأ بين الزمنين المتباعدين يعد أقصى درجات التكيف التي يبلغها الخطاب كي يستجيب بشروط التلقي. وخصوصًا عندما تمثل أطراف ذوى الفكر الأدبي في عصرين متباعدين، مما يكسب الحوار خصوصية فريدة لأنه يكشف عن خواص العقل في ذلك العصر البعيد وعن انبعاثه لمواجهة متغيرات الحضارة والتاريخ الإنساني[61].

([57]) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004، ص72، 73

([58]) المصدر السابق، ص58

([59]) بدر بن عبد الله البدر: الدعوات الكبير، ج1 دار غراس للنشر، ط1، 2009، ص46

([60]) المصدر السابق، ص81

([61]) أحمد عوين: اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، 2010، ص78

من المعروف أن الفلاح المصري -في عهد الإقطاع- يعده المولى العثماني طينة قذرة، لا حرية ولا كرامة له، ولا يشارك في الجندية والفروسية، فهذه الثقافة مازالت متوارثة إلى عهد قريب ليس ببعيد، فيقول هيكل: "واتقضت أيام الحصاد، وانتقلوا لعمل جديد. واستعاضوا بذلك الليل المقمر ونسيمه العذب، ولكنهم ما كانوا ليحسوا بذلك أو ليألموا له وقد تعودوه كما تعوده آباؤهم من قبلهم، من يوم مولدهم، فانتقل إليهم بالوراثة وبالوسط، وتعودوا ذلك الرق الدائم ينحون لسلطانه من غير شكوى ومن غير أن يدخل إلى نفوسهم قلقًا، يعملون دائمًا ومن غير ملال، ويراقبون بعيونهم نتائج عملهم زاهرة ناضرة، ثم يقطف ثمرتها سيد ملك كم فكر في أن يبيع قطنه بأغلى ثمن ويؤجر أرضه بأرفع قيمة، وفي الوقت عينه يستغل الفلاح نظير قوته الحقير، ولم يدر بخاطر السيد يومًا أن يمد له يد المعونة، أو أن يرفعه من درك الري الذي يعيش فيه، وكأنه ما علم أن هذا المجموع العامل أكثر نفعًا، لكن السيد المالك لا يهمه شيء من ذلك. وهو الآخر يعيش كما عاش آباؤه، يحافظ على القديم، ولا يفكر في أن يغير من عادات سلفه شيئًا"[62].

ونجد توفيق الحكيم يتفق مع محمد حسين هيكل في العلاقة بين الفلاح والمالك فيقول توفيق الحكيم: "... جاءت العصور الحديثة ... فلم يتغير بالطبع هذا الوضع، فالمالك الغني أو الفلاح الموسر الذي حل في الأرض محل السيد العثماني، قد ورثه كذلك في طباعه وقلده في ميوله وعاداته ... فتزوج هذا الفلاح المالك بالجواري البيض، وجعلهن في الحريم ... وازدرى أحيانًا هو أيضًا أبناء جيله من الفلاحين ثم ذهبت (بدعة) تقليد الأتراك بالزواج من الجواري البيض"[63].

وينصح للقارئ المتأمل في تاريخ مصر -فيما سبق- الموروث الثقافي لدى المالك الغني أو الفلاح الموسر المكتسب من العثمانيين، وليس مكتسبًا من أصوله المصرية الفرعونية العريقة، فثقافة العثمانيين المتوارثة كانت سببًا فيما وصل إليه الريف من سوء الأحوال للفلاح المصري الذي انعكس على الطبيعة الريفية نفسها، فكان الفلاح من عهد فرعون إلى فلاح إسماعيل إلى فلاح اليوم يتسم بالصبر والجلد فيقول: "... وتعاقبت بعد ذلك الأيام، وتعاقب معها العمل، وما كان من العمال أن يشكو حر الشمس أو لظى القيظ. هم يسيرون دائمًا بخطى ثابتة وأقدام قوية، لهم اليوم من الصبر والاحتمال ما كان لأجدادهم في العصور الفائتة: ذلك الجلد الذي يبتدئ مع القدم ويسري في الزمان من فلاح فرعون إلى فلاح إسماعيل، وإلى فلاح اليوم، والذي يجود على هاته الطائفة التعيسة بشيء من السعادة في الحياة، ويجعلها أمام تلك اللانهاية نهاية من الفقر تحتمل مضض الأيام، وعلى وجهها الناشف ابتسامة القانع[64].

([٦٢]) المصدر السابق، ص18 بتصرف

([٦٣]) توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار الشروق، ط10، ص88

([٦٤]) المصدر السابق، ص21

ظلم الفلاح واستعباده منذ سالف العصور منذ العصر الفرعوني حتى العصر الحديث ثقافة متوارثة، ولكن حب الفلاح للأرض في دمائه بالرغم من عبودية السيد المالك للفلاح الفقير.

مما لا شك فيه أن الفلاحين أشد من أهل المدن في إظهار احتجاجهم وغضبهم، لأنهم أكثر فئات المجتمع معاناة، وقهرًا، وتعرضًا لمساوئ الاحتلال والإنجليز، ما إن كانت الأسرة في القرية المصرية تسمع أن ابنها حرم من دخول الجيش إلا وتصاب بحاله من الصدمة المصحوبة بالعار والخجل من الإعلان عن حقيقة هذا السبب فافتضاح أمر هذا الشاب يعني شيئًا من رجولته بكل ما تحمله كلمة (الرجولة) من نسق قيمي، وهو ما يهدد مستقبل هذا الشاب، إذا سيظل هذا العار يلاحقه دهرًا طويلًا، مهما توارى منه للدرجة التي تغلب فيها هذا العار على الفرحة بسبب إعفائه من أداء هذه الخدمة[65].

لقد وقع الاختيار على إبراهيم ليكون فردًا من أفراد الجيش، فقد شعر حينذاك بالعزة والرفعة والإباء، ولكن حامداً كان حزينًا على فراقه فيقول: "إذن بعد أيام سيترك إبراهيم البلد إلى حيث لا يعلم، إلى العاصمة أولًا، ثم إلى مجاهل السودان وخط الاستواء، جلس حامد في المساء مع الساهرين ينتظرون بالجرائد، فإذا شيخ البلد جالس من بينهم يحكي عن أنفار القرعة، فلما تكلم عن إبراهيم أسف له، لأنه الوحيد الطالع هذه السنة، مع أنه لم يخرج أحد من تسع سنين مضت، وبتجربته الطويلة حكم أن سيكون هذا الشاب في فرقة البيادة. هناك في مجاهيل السودان وخط الاستواء سيزور إبراهيم جهنم، لا غازيًا ولا فاتحًا، ولكن خادمًا مطيعًا، هناك سيقضي أيامًا حلوة من عمره ثم يرجع ولا فخر له"[66].

كان حامد تنتابه مشاعر الحزن الممزوجة بالفقدان لإبراهيم الذي كان يرعى شؤون أرضه، وكان الجيش في تلك المدة الزمنية ليس بملاذ لأفراده، ولكن كل من التحق بالجيش كان يشعر بالعزة والكرامة والإباء، وهذا ما استشعره السامعون عندما أُلقى عليهم خطاب إبراهيم، فكان يقول: "... هذه أول كلمة بلغتها بعد ستة أشهر عن إبراهيم الذي قام من بلده إلى بندر المديرية ثم القاهرة، حيث أقام بعض شهور بقشلاقات العباسية، ومنها انتقل مع إخوانه وبلدياته إلى السودان ومجاهله إلى تلك البلاد القفر التي بابها فوهة القبر والعذاب والجحيم، ينال فيها كل فقير صحيح البدن حظه من الشقاء. ثم هو يرد إلى بلاده وكل ما كسبه أنه لبس طربوشًا ثلث متر في الطول وسترة وبنطلونًا تجعله يزدهي على أقرانه أيامًا بعد رجوعه، ثم يصبح من الأعطال الذي يقضون حياتهم نومًا وحديثًا يلبسون مركوبًا أو بلغة وجلابية بيضاء وعمامة ملفوفة على طاقية بزهرة، أو تلجئه الحاجة إلى أن يرجع إلى صف العمال الفقراء التعساء فيعمل كما كان ويأكل من عرق جبينه[67].

([٦٥]) أحمد سويلم، سليمان القلشي: الجيش المصري خير أجناد الأرض، دار الدلتا للنشر، ط1، 2017، ص107

([٦٦]) المصدر السابق، ص136

([٦٧]) المصدر السابق، ص176

كان أداء إبراهيم لواجب الوطن بالرغم من الصعوبات التي واجهها في الجيش من الفقر، والعوز والحاجة، ولكنه لم يكن يشعر بذلك، فالمستمع لخطاب إبراهيم يفهم ذلك، فيقول عم خليل لحسن: "... بعد برهة من سكونهم جميعًا سأل عمي خليل: هو مش مبسوط كده ... إبراهيم أبو أحمد، دا مش مبسوط خالص ... وبيقول يمكن يروح سواكن ويمكن ما يروحش لسه ما هوش عارف إن كان بلوكهم مسافر وإلا لأ"[68].

كان هيكل -كما عرفنا- فلاحًا مصريًا أصيلًا؛ فقد عبر عن الحالة التاريخية والاجتماعية التي كان يمر بها الشعب المصري، فقد ظل حال الفلاح المصري من ظلم واستبداد حتى جاء الرئيس عبد الناصر.

يقول هيكل: "لما جاء عبد الناصر تمتع بما لم يتمتع به أحد قبله ... ولا حتى الفراعنة فقد كانوا يحكمون بواسطة الكهنة ... والكهنة، كانوا أتباع آمون يقولون للملك لا تعمل كذا واعمل كذا ونحن الذين نتوجك .. لكن سلطات عبد الناصر الكاملة بلا حدود لا يمكن أن نقول إنها تكررت في مصر. لقد كانت لعبد الناصر سلطة شعبية وحكومية معًا، لأنه جاء كما أراد المصريون بمضامين وانجازات لم يتكلم في الشكل فهناك إنجازات تتم ... إصلاح زراعي وأشياء كثيرة ومجلس أعلى للفكر، كل ما كان الناس يريدونه"[69].

خلاصة القول:

الفلاح المصري متأصل بالوطنية التي تسري في دمائه مهما اختلفت أحوال البلاد سواء أكانت له أم عليه. فهو يضحي دائمًا وأبدًا من أجل بلاده.

([68]) المصدر السابق، ص177

([69]) توفيق الحكيم، وثائق في طريق عودة الوعي، دار الشروق، ط3، ص90

المبحث الثاني
الموروث الاجتماعي في رواية زينب

- **مفهوم العادات والتقاليد**
- **<u>أولًا</u>: الزواج.**
  - **تعدد الزوجات.**
  - **زواج الأقارب.**
  - **سن الزواج**
  - **مراسم الزواج**
- **<u>ثانيًا</u>: العادات والتقاليد الجنائزية.**
  - **التجهيز للمأتم.**
  - **تلاوة القرآن.**

تمهيد:

إن المجتمع في حركة مستمرة، وهذه الحركة تفرز ظواهرًا اجتماعية مختلفة من بين هذه الظواهر العادات والتقاليد، وتُعد العادات والتقاليد الإرث الثقافي العام لأي مجتمع يحافظ على تواصله واستمراره، وتتوارثها الأجيال كلفة رمزية تمكنهم من التواصل على مر العصور، وتعبر عن هويتهم الجماعية، ورغم أنها تختلف من مجتمع لآخر باختلاف الثقافات؛ إلا أنها تشكل في جوهرها عاملًا أساساً لتوليد الذهنيات حول مبدأ المحافظة على التراث والاتصال بالماضي، لأنه سيميائيًا يرتبط مفهوم العادات والتقاليد بالماضي والأجداد، لذلك لا يمكن الحديث عن أي مجتمع دون الحديث عن عاداته وتقاليده وأعرافه التي يمارسها الأفراد خاصة، والعائلات عامة، كعناصر فاعلة وأحد التركيبات الأساسية التي يقوم عليها أي مجتمع إنساني، لأن العائلة هي التي تعمل على حركته ما دامت الخلية القاعدية المنتجة للمجتمع ولكيانه الزوجي والمادي[70].

دراسة أي تركيبة اجتماعية لا تتحقق بمعزل عن دراسة التركيبة الشاملة للمجتمع الذي تنتمي إليه، كما أن البحث في الخصوصيات الاجتماعية والثقافية لهذه التركيبة لا يتم أيضًا دون معرفة عناصره البنيوية الصغرى المكونة لها.

إن التركيبات الاجتماعية عديدة ومتنوعة ومتفاوتة الدرجة والمستوى في علاقتها بالمجتمع ككل، غير أن العائلة (الأسرة) من أهم هذه التركيبات والتي في اعتقادنا -على الأقل- تشكل المنبع لطابعها المميز إن العائلة بكل ما تحمله من دلالات مختلفة هي الخلية القاعدية والثورة المنتجة للمجتمع ولكيانه الروحي والمادي[71].

فالعائلة (الأسرة) تتكون من عدة أفراد؛ ولكل فرد دوره حياة، لها عاداتها الاجتماعية ومعتقداتها المصاحبة لها. ومن الجديد بالذكر أن كل مرحلة من مراحل دورة الحياة لها عاداتها الاجتماعية وتقاليدها ومعتقداتها المصاحبة لكل مرحلة والتي تتباين من مجتمع لآخر وفقًا لطبيعة المجتمع.

وفيما يلي عرض لبعض التعريفات المختلفة لكل من العادات الاجتماعية والتقاليد.

أولًا: العادات الاجتماعية.

لا شك أن صعوبة دراسة العادات الاجتماعية يرجع في المقام الأول إلى صعوبة تحديد نهايتها تحديدًا علميًا ودقيقًا، وهذا يرجع إلى طبيعة العادات الاجتماعية التي تعني كلها سلوك الجماعة المتكرر، وأساليب الناس الجمعية في العمل والتفكير أيضًا، ومن الصعوبة تحديد أساليب التفكير والعمل التي تعتبر عرفًا، أو تلك التي يمكن اعتبارها اتفاقًا، وأيهما ينثل آدابًا اجتماعية، ولعل من المهم الإشارة إلى الكلمة عرف في المصادر العربية،

([٧٠]) فايزة أسعد: العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقارنة سوسيو انثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجًا، رسالة دكتوراة في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2012، 2011، ص10

([٧١]) محمد صعيدي: العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة لاحتفالية بالأعياد أنموذجًا، إنسانيات عدد جالفي، أفريل، 1998، ص41

فبعضهم يطلقونها على كل أنواع الطرق الشعبية والأساليب والممارسات الاجتماعية سواء الملزمة منها وغير الملزمة إذ يعتبرونها مرادفًا لمصطلح عادات اجتماعية أو طرق شعبية، وعلى أية حال، فإن هناك اتفاقًا بين العلماء على أن العرف مصطلح يطلق على العادات التي تتسمر بدرجة كبيرة في الالتزام والإجبار لاستمرار المجتمع والمحافظة على كيانه[72] العادة قوة معيارية وظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي والطاعة الصارمة فهي بذلك رائدة للقانون، تعتبر العادات ممارسات أنتجها الوجدان الشعبي من أجل تلبية رغباته المعيشية، فالعادة نتاج الجماعة وتصبح متوازنة عبر الأجيال حتى تصل إلى درجة العرف[73].

ثانيًا: التقاليد.

تمثل مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي، وهي تستمد قولها من المجتمع وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل[74]، فالتقليد كل ما اتفقت عليه الجماعة ودل على الماضي القديم، ويستمر استعمال العادات الاجتماعية لفترات طويلة تصبح تقليدًا. التقليد عادات مقتبسة اقتباسًا رأسيًا أي من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل، فهي تنقل وتورث من جيل لآخر ومن السلف إلى الخلف على مر الزمن[75]، فالتقاليد هي بمثابة القواعد التي تحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري، فالتقاليد هي النظام التطبيقي المتفق عليه من الناس، والذي يؤدي إلى الاتساق بين أفعال الناس وبين بعضهم بعض[76].

المجتمع المصري يتميز بتنوع عاداته وتقاليده وعراقها واختلافها من زمن إلى زمن، ومن منطقة لأخرى فعادات وتقاليد الزواج تتباين بين الريف والحضر، ويبرز الاختلاف في الطقوس والمرسيم الاحتفالية والتي تبقى في صراع دائم بين ما هو تقليدي، وما هو مستحدث، في ظل التغير الاجتماعي والثقافي، والأخذ من الماضي بما يتناسب مع روح العصر. وتعتبر عادات الزواج من أهم العادات الاجتماعية والتقاليد في المجتمع المصري، لما تمثله هذه الطقوس في ذهنية الإنسان المصري والمسلم من رمزية خاصة، لاتصال هذه

([٧٢]) محمد أحمد غنيم: العادات والتقاليد في دلتا مصر (الدورة الحياة في قرى الدقهلية، عين الدراسات والبحوث) ط1، 2005، ص19

([٧٣]) محمد الجوهري: علم الفلكور، دراسات في الأنثربيولوجيا الثقافية، دار المعارف الجامعية الإسكندرية، 1988، ص69

([٧٤]) حسن عبد الحميد أحمد رشوان: الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، 2006، ص159

([٧٥]) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية مع لجن ميداني لبعض العادات، دار النهضة بيروت، 1980، ص169

([٧٦]) رفيق حبيبة: في فقه الحضارة العربية الإسلامية إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص13

الطقوس بجوانب دينية، لذلك تبقى عاداتها وتقاليدها الأساس الذي يحرص أي مجتمع على الحفاظ عليه وتكييفه مع ما يعرفه من تغير.

الزواج:

يطلق اسم الزواج على رابطة تقوم بين رجل وامرأة، ينظمها الشرع والقانون أو العرف. ويحل بموجبها الرجل (الزوج) أن يطأ المرأة ليستولدها، وتنشأ عن هذه الرابطة أسرة، تترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والأولاد. والغاية من الزواج هو استمرار الحياة في الأخلاق ويعبر عن النكاح، وهو الوطء الحلال، لأنه وسيلة الزواج، وبه تتحقق غاياته[77] إذن فالزواج رابطة مقدسة، وسنة من سنن الحياة، ومن سنن الله تعالى في خلقه من أجل التكاثر والبقاء وهو السبيل الأول لتأسيس الأسرة التي هي النواة الأولى لتكوين المجتمع الذي تنجم عنه العلاقات الاجتماعية المختلفة[78].

ويُعد الزواج أهم المراحل التي تمر بها الفتاة خاصة في الأسرة العربية، فالزواج بالنسبة لكثير من الأسر أهم من الدراسة أو العمل وأولويته يجب تقديمها على مختلف طموحات الفتاة فتحرص الأسرة على تزويج البنت للخوف من العنوسة من هذا المنطلق تنتقل تلك الفكرة للبنت، فحتى إن كان الزواج ليس من أولوياتها فبفعل إصرار الأسرة ونظرة المجتمع يكون الزواج أهم شيء في حياتها، والإنجاز الذي يجب أن تسعى بشتى الطرق لتحقيقه[79].

تعدد الزوجات:

كان من عادات العرب ممارسة عادة تعدد الزوجات، حيث كان الرجل يتزوج بعدد من النساء والهدف بيع الأولاد، حيث كانت تجارة الأولاد رائجة أو إدارة الأراضي الزراعية في حال كثرة أو عجزه عن إدارة هذه المزرعة، فإن تعدد الزوجات يؤدي إلى إنجاب من يدير هذه المزرعة[80].

تطرق هيكل في رواية زينب إلى تعدد الزوجات، فكان المالك صاحب الأرض التي كانت مسرحًا لرواية زينب كان زوجًا لأربع زوجات غير اثنتين في طريق حياته، فقد كان محمود المسؤول عن الأرض يرعى حق الله في أخويه من زوجات الله، بالدعم ما هو مجسم في نفوس الإخوة من زوجات مختلفات من عدم الانفصال فيقول: "... للسيد محمود رب هاته الضياع عائلة طويلة عريضة حلقها المرحوم والده الذي توفى عن أربع زوجات

([77]) عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة) عالم المعرفة، 1984، ص15

([78]) بوزيد رحمون، الأمثال الشعبية في الجزائر، دراسة موضوعاتية جمالية، أطروحة دكتوراة في الأدب العربي، 2015/ 2016، ص66

([79]) خديجة لبيهي: المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة وادي سوف أنموذجًا، أطروحة دكتوراة، 2014/ 2015، ص61

([80]) أحمد كاظم جواد المعموري: الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، دار الرضوان للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2012، ص101

غير اثنتين في طريق حياته. وبالرغم من الكثيرين جدًا من أولاده الذين كانوا يموتون قبل السادسة من عمرهم – وهم خمسة وعشرون فيما يذكر السيد محمود- فقد بقى له يوم مماته اثنا عشر ولدًا من ذكور وإناث. ولهذا كانوا يتفاوتون في السن ما بين خمسين سنة لأكبرهم وثلاث لطفل لا يزال في حضن أمه الشابة. لكن السيد محمود، لكونه أكبر أخويه الذكور، كان قد جمع من كده، وأصبح هو وارث اسم العائلة، وطبعًا الوصي على أخوته، وقد كان من أطيب الناس قلبًا وأحبهم لإخوته، ومع ما هو مغروس في نفوس الإخوة من زوجات مختلفات من عدم ثقة فكان يعامل إخوته الصغار معاملة الأبناء[81].

فقد كان السيد محمود طيب القلب يعامل أخوته الصغار معاملة الأبناء، فكان الرجل دافعًا لتعدد زوجاته، وكثرة الإنجاب من أجل إدارة الأراضي الزراعية في حال كبره أو عجزه أو موته، وبالفعل كان محمود المسئول الأول عن إدارة الأراضي الزراعية، وإعطاء أخوته من زوجات أبيه حقوقهم بما قسم الله تعالى، ولكن محمود لم يعدد زوجاته كما فعل أبوه، ولكنه اكتفى بزوجة واحدة، ولكنه أنجب من الأبناء الكثير فكانوا يبلغون ثمانية من الأبناء: أربعة بنين وأربعة بنات، ولكنه قد عني بتعليمهم جميعًا فيقول: "... أما أبناء السيد نفسه فهم أبناء زوجة واحدة ويبلغون الثمانية، أربعة بنين وأربع بنات. ولقد عني السيد بهم جميعًا، وأرسل للتعليم من أبنائه كل من تحتمل سنة ذلك..."[82].

زواج الأقارب:

تتميز الثقافة الريفية بقيم تقليدية وعلاقات اجتماعية مباشرة بين الأفراد خاضعة للعرف، فالعادات والتقاليد التي تؤثر في السلوك الاجتماعي تكاد تكون واحدة، وقد انعكس ذلك على نمط الزواج السائد التي يجمع الأقارب، ويوكل للأسرة القيام بجميع إجراءاته، مما يشعر بانتمائه إليها، واندماجه كلية في الوحدة الاجتماعية الصغيرة (الأسرة)، بالإضافة إلى احترامه وخضوعه للعناصر الثقافية التي ترجع جدورها إلى تقاليد وأعراف الأسرة الممتدة التي تربطها قيم التضامن والتعاون والتماسك، فالفرد بدون أسرة عضو مبتور لا يكتمل وجوده إلا إذا انتمى إليها[83].

كان حامد ابنًا للسيد محمود، فقد جمعت جماعة النسوة أن يجعلن حامد، وابنة عمه عروسًا لصاحبه. فكانت بعض الأسر المصرية، وخاصة الأسر الريفية تخطب الصغار لبعضهما البعض، ويصل بهم الحال إلى قراءة فاتحة الصغير والصغيرة منذ طفولتهما، وتأخذ كل عائلة عهدًا على العائلة الأخرى ألا يزوج ابنتهم دون ابنهم، والعكس فيقول: "... حين بلغ حامد الخامسة من عمره كان طفلًا كثير الدلال، كثير البكاء، موضع الإعزاز من جميع من في الدار، وبالرغم من هذه السن كنت كثيرًا ما تراه محمولًا على أكتاف النساء

([81]) المصدر السابق، بتصرف، ص18/ 19

([82]) المصدر السابق، ص18

([83]) أونيسة مرنيش: الزواج بين الأقارب في الوسط الحضري بين التقليد والتغير، دراسة ميدانية بمدينة عناية، مقدمة لنيل الماجستير، جامعة باجي مختار،

أو على أعناق الرجال، وكانت أحب الساعات لنفسه الساعات التي يقضيها لعبًا مع ابنة عمه عزيزة حين كانت تجيء إلى القرية مع أمها. ومع أنه أكبر منها بسنتين في العمر فقد كان ظاهر التودد في معاملته إياها؛ لذلك لم تبطئ جماعة المحيطات بهما من النسوان أن يجعلن كلًا منهما عروس صاحبه"[84].

لقد أحب حامد ابنة عمه عزيزة حبًا شديدًا، ولكن للأسف لم يكلل هذا الحب بالزواج، فقد حال القدر بيهما.

سن الزواج:

سن الزواج هو سن النضوج الطبيعي، ويعرف بسن البلوغ، وهو يختلف باختلاف الشعوب، لأنه يتأثر بعوامل المناخ وطبيعة البيئة، فهو يكبر في المناطق الحارة البنت فيها مبلغ النساء في التاسعة أو العاشرة من العمر ويبلغ الضيق الحلم في الثانية عشرة من العمر، ويتأخر في المناطق الباردة إلى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمر البنت، وإلى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمر الفتى، ذلك في المناطق التي يشتد فيها البرد، ويتوسط بينهما في المناطق المعتدلة[85].

سن الزواج في الريف المصري مرتبط بالنضوج الجسدي للفتاة، فالسن ليس مقياسًا لارتباط الفتاة، وهذه العادات والتقاليد تتباين تباينًا واضحًا مع المجتمع الحضري المدني، سن الزواج في الحضر يرتبط بعوامل كثيرة؛ منها عوامل اقتصادية، اجتماعية ... إلخ، فالفتاة في الحضر تتزوج بعد إتمام المراحل الدراسية أي بعد إتمام تعليمها؛ كما أن سن الزواج يتأخر في المدينة عن الريف نظرًا لارتفاع مستوى المعيشة، وتكاليف الزواج للطرفين، فالزواج أمر ميسر في الريف مقارنة بالمدينة، "أبو زينب" واجه هجومًا شديدًا من الحاضرين عندما اعترض عن زواج ابنته من حسين لصغر سنها فيقول هيكل: "... ويعني إحنا حدانا حد يستحق الجواز؟

- والله بدنا زينب لحسن.

إحنا والله ما نعز عليك حاجة يا خليل ... لكن أنت عارف البنت صغيرة من ناحية، وهي اللي بتقضيلنا الحاجة من ناحية ... كما يا خوية سنتين ولا تلاتة لما تكبر هي، وتكون أختها بقيت لايجة للشغل. هناك انبرى من بين القوم رجل ذو وجاهة ... وقال: حاكم أنت يا بو محمد! ... صغيرة إيه ياهويه ... عمرنا بنجوز البنات وهم أصغر منها ... والله إني جوزت ديك السنة بنت أو سمية ... أبو عامر لعلي أبو إبراهيم وهي أصغر خالص من زينب ... يا راجل بلا كلام.

ثم تلاه آخر يظهر عليه أنه من الأعيان "وقال ومنتاش فاكر يا مصطفى بنت مسعود لما جوزناها؟ حقه والله كانت يا عيني قد إيه .. مافيش خالص، شوية وكبرت وبقت عال .. لكن

([84]) المصدر السابق، ص20

([85]) عبد السلام الترهانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص113.

زينب باسم الله ما شاء الله كبيرة وحلوة لوحدها تقوم بعيلة (ثم وجه الكلام لأبي الفتاة) صغيرة إيه يا راجل ماتقولش الكلام ده[86].

من عادات وتقاليد الريفيين -فيما سبق ذكره- زواج الفتاة في سن مبكرة لظروف شتى، ولكن هذه العادة أصبحت الآن متوارثة لدى العديد من الريفيين

فالفتاة الريفية في الوقت الحاضر تتمتع بقدر عالٍ من الجمال والتعليم والحسب والنسب، ولكن يحرصون على تزويجها في سن مبكرة أثناء فترة دراستها، وتتم سنوات دراستها، وتحصل على أعلى الشهادات الدراسية، وهي متزوجة وهناك فريق آخر من الريفيين في الوقت الحاضر يحرصون على زواج ابنتهم بعد إتمام سنوات دراستها، فأصبح الزواج أمرًا نسبيًا يختلف عليه كثير من الريفيين.

مراسم الزواج (الزفاف)

كانت مراسم الزواج (حفلات الخطوبة/ الزفاف) تتسلم بالبساطة مثل حياة الريفيين، فكانت تقتصر على الأهل، والأقارب، والأصدقاء.

يقول: "... أما أنا فرايح دار عمي سعيد أحضر (الفكة) ونسقف ونشوف مصطفى وبنت أم السعد وهما بيرقصوا، لكن يا أخي هو العرس وقتيه؟ ... ذهبا إلى (الفكة) كما ذهب كثير غيرهم، وبقى الكل يترددون عليها، ولما جاء حامد ليقضي أيام العيد بين أخوته وأهله وسمع بالفكة وما فيها من التطبيل والتصفيق والرقصة، استخفته نفسه أن يذهب إليها ... دخل حامد مع صديقه وما عتم ان عدى عتبة الدار حتى رأى أمامه جماعة من الفلاحين لا يكاد يكون وسط دائرتهم فتاة واحدة، بل كلهم من الشبان. أما من أن يكن على مقربة فقد بقين حول هذا الجمع غير المنتظم يضم بيد جنبيه الواقف والجالس والمتكلم والصامت واليقظ..."[87].

لم يذكر محمد حسين هيكل مراسم زفاف زينب بطلة الرواية، ولعل يرجع السبب لحالة الحزن الشديد التي كانت تتملكها بسبب زواجها من حسن فلم تكن الفتاة راضية عن زواجها من حسن؛ لأنها كانت تحب إبراهيم فكانت متيمة بحب إبراهيم فيقول: "... لم تجب بكلمة ما حين جاء القوم يطلبون توكيلها أباها في عقد زواجها، بل بقيت صامتة لا تنطق بكلمة ولا تهمس بحرف ... ثم كان أن أخذتها نفسها، فلم تقدر أن تمنع دموعها التي سالت على خدها ... واستبطأ الأب رسوله، فنادى به واحد ممن حوله، ولما علموا أنها تبكي قال المأذون، وهو يهز رأسه وعمامته الكبيرة: حيث إنها دموع باردة فهي دموع الفرح، ثم بالصيغة التي يحفظها عن ظهر قلبه، والدعوات التي يتلوها في مثل موقفه، وضع يد العروس في يد وكيل عرسه واستتلاهما من بعده الكلمات التي تروح، وفي مساء الغد

([٨٦]) المصدر السابق (بتصرف)، ص75.

([٨٧]) المصدر السابق، بتصرف، ص62/ 27

انتقلت زينب إلى دار أبيها، وأصبحت فردًا من أفراد عائلة زوجها حسن، بعد أن ذرفت دمعات الوداع للدار التي قضت فيها أيام صباها وآمالها..."[88].

العادات الجنائزية في المجتمعات الريفية:

لعل أهم ما يميز طقوس الموت في المجتمعات العربية هو حالة التعاطف والتساند الشديد عند وقوع حالة الموت. إلا أن الطرق الشعبية والعادات الخاصة بالوفاة تختلف من مجتمع لآخر، فالمصريون يبالغون جدًا في إظهار حزنهم، وبخاصة النساء في الريف، وفي كثير من الأحياء المختلفة في المدن، حيث ينشأن على التعبير عن حزنهم بالعويل الصراخ ولطم الخدود.

عندما دخل عم خليل الدار كان مهمومًا من أثر الحزن، وذلك لأن الحج سعيد شيخ البلد متأخر وقد يموت الليلة، فقد أمر زوجته بإعداد اللازم قبل وفاة الحاج سعيد استعدادًا لخبر وفاته.

"... ولما أتموا العشاء إذا صراخ علا في جو القرية الساكن آتيًا من جهة دار شيخ البلد، صريخ متقطع ترسل به امرأته وهي محروقة القلب على فقده ... ثم في جوف الظلمة علا الصوت من جديد، وقد صحبته أصوات أخرى ثم تلا ذلك صوت أصم..."[89].

التجهيز للمأتم

من عادات وتقاليد الريفيين الاستعداد للمأتم بتجهيز الأطعمة والأشربة:

1) إعطاء أهل المرحوم الحاج سعيد شيخ البلد عيش القمح صنيتهم إلى بناته.
2) بادر حسن في الصباح قبل دفن المتوفى إلى دار عوض الله الجزار ليحجز لهم من البقرة ستذبح ما يكفهم.
3) أمرت أم حسن الفتيات الذهاب إلى الغيط ليجمعن لها خضار الغيط.

ويصف لنا محمد حسين هيكل المشهد المهيب قائلًا: "... نزل حسن وأبوه ليسيرا في المشهد الذي مر بطيئًا حتى وصل إلى الجامع حيث صلى عليه، ثم سار إلى الجبانة حيث ووري الميت التراب..."[90].

"... خرجت "الطبالي" قليلة ساعة الظهر، لكنك كنت ترى ساعة المغرب قريبًا من الخيمة المنصوبة جيشًا عرمرمًا من النساء والفتيات، وكل تحمل طبليتها أو صنيتها على رأسها. وصاحبات الصواني قد حملن في أيديهن كراسي العشاء، وبقين جميعًا ينتظرن أن تخرج صواني جماعة الميت..."[91].

تلاوة القرآن:

([88]) المصدر السابق، ص78
([89]) فوزية دياب: المرجع السابق، ص130
([90]) المصدر السابق، ص184
([91]) انظر السابق نفسه

بعض الناس يتخذ تلاوة القرآن حرفة؛ فيقرأ في البيوت كل يوم جزءًا، ويقرأ على المقابر أيام الأعياد ويقرأ في المآتم. وإذا مات ميت أخضر بعض النساء لقراءة القرآن على النساء صباحًا، وأحضر الفقهاء من الرجال لقراءته على الرجال عصرًا وبعد العشاء مدة ثلاث ليال، كما أن الميت قبل أن يدفن يستحضر بجانبه فقيه يقرأ عنده القرآن إلى أن يدفن[92].

ولقد أحضر أهل الميت القارئ لتلاوة ما تيسر من آيات القرآن الكريم ثم انصرف الجميع لتناول الطعام كعادة أهل القرى فيقول: "... وفي الخيمة الصامتة يتميز صوت قارئ القرآن يرتله ويتغنى به، فيرسل مع كل آية يقرأ ما يزيد الناس شعورًا بالحزن المحيط بهم، ولما اختتم سورته جاءت الصواني، وتسابق النسوة بما معهن إلى الخيمة داخلات كأنهن للسيل المنهمر، ومن بينهم دخلت كبرى أخوات تحمل صينيتهم"[93].

وفي هذا الحين بدأ مرض عضال ينهش جسم وريعان وشباب زينب التي لم تتحمل فكرة ابتعاد إبراهيم وهجرته إلى بلد آخر، وبعدها ازداد حالها سوءًا، أحضروا لها طبيًا؛ فأخبرهم بأنه لا أمل من شفائها، لأن المرض قد بلغ أشده، وفي لحظاتها الأخيرة طلبت زينب من أمها أن تأتيها بمنديل إبراهيم فقبلته ووضعته على صدرها. وكانت آخر كلمة لها أن يوضع المنديل معها في قبرها.

([92]) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم، 2012، ص135

([93]) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

المبحث الثالث
المعتقدات الشعبية في رواية زينب

أولًا: التبرك بأولياء الله الصالحين.

- **تبرك الريفيين بأولياء الله الصالحين**
- **التصوف**
- **المتصوف**
- **موقف حامد من الشيخ مسعود وجماعة الذاكرين**

ثانيًا: الحسد.

- **سمات الحاسد في المعتقدات الشعبية**
- **الرقي والبخور**

المعتقدات الشعبية:

إن المعتقدات الشعبية تعد جزءًا من عادات الشعوب أحد رموز ثقافاتها، يمارسها الأفراد ويطبقونها على كل ما يصادفها من مختلف الظواهر، بهدف إيجاد التفاسير للأمور التي تحيرهم فالإنسان منذ وجوده على الأرض بدأ يكيف حياته على المعتقدات، يراقب ويلاحظ الظواهر الطبيعية ويحاول إيجاد تفسير لها، ومع مرور مئات الآلاف من السنين استطاع الإنسان العاقل أن يرسم رؤيته لهذه الحياة، وحاجته لها؛ كانت بدافع الرغبة في مواجهة الأحداث الطارئة، لذا فهو صانعها والطبيعة الإنسانية تضل، وتحكم عليه من العادات والتقاليد والمعتقدات، وهو أن يفعل ذاك يرسي دعائم المجتمع[94].

فالمعتقدات الشعبية -فيما سبق- تختلف اختلاف البيئات، فالمعتقد في البيئة الريفية يختلف عن بيئة الحضر، فما يقبله الريفيون قد يعترض عليه أهل الحضر ولا يتناسب معهم.

إذا كانت المعتقدات الشعبية متصلة بأعماق الطبيعة البشرية فإنها موجودة في الريف والمدينة عند الأمي والمتعلم، ذلك أن التفكير البسيط المجرد من أصل المعرفة العلمية لا يقتصر على الفئات مستويات السلم الاجتماعي لأفراد المجتمع الواحد[95].

المعتقد أول أشكال التغيرات الجمعية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني ويبدو أن تواصل الخبرة الذاتية إلى تكوين معتقد يمثل خاصة سيكولوجية ماسة لأن المعقد هو الذي يعطي للخبرة الذاتية شكلها المفعول، الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها[96].

المعتقدات الشعبية، أو كما يسميها رجال الدين قديمًا الخرافات أو الخزعبلات، وهي من أصعب الأشكال الشعبية دراسة لكنها خبيئة في صدور الناس وهي لا تلقن من الآخرين، ولكنها تختصر وتتشكل بصعوبة، فالخيال يكسبها دورًا، وطابعًا خاصًا لأنه من الصعب الكشف عما يؤمن به الآخرون وما يحملونه من تصورات[97].

الدين الشعبي من أهم المعتقدات الشعبية لدى الريفيين باختلاف طبقاتهم المتفاوتة بين الفقر والثراء، والتعليم والأمية، فقد شغل الريفيون عقيدة التبرك بأولياء الله الصالحين.

التبرك بأولياء الله الصالحين:

(الولي) هو من ولى الله بالطاعات ... فإذا واليت الله بالطاعة، فأنت (ولي)، ويكون الله وليًا لك، أي يتولاه بالرعاية والعناية وقالوا: الولي هو ممن قال عنهم الرسول الكريم: "إن

([94]) سعد سلام: التناص التراثي في الرواية الجزائرية، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2010، ص15.

([95]) محمد الجوهري: علم الفولكلور، مرجع سابق، ص62، 63

([96]) فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ط4، ص47

([97]) محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب، القاهرة، ج1، 1978، ط1، ص42، 43.

من عباد الله عبادًا ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله"[98].

تبرك الريفيين بأولياء الله الصالحين:

كان الريفيون يتوسلون بالمشايخ، ورجال الدين لتلبية دعواتهم وقضاء حوائجهم، فإن لهم عند الله مقامًا محمودًا ودرجة عظيمة ففي رواية زينب تجد الريفيين كانوا فرحين بمجيء الشيخ مسعود، أحد أشراف المديرية ومن مشايخ الطرق المعدودين، فقد انتظره أهل القرية مقبلين يده الطاهرة، فقد أعد له الشيخ عامر أحد أعيان البلد الموسرين المتعصب لكل شيخ وليمة ويصف لنا هيكل مشاعر الريفيين تجاه الشيخ معتقدين ببركاته فيقول: "... التف حوله جمع عظيم جلسوا باحترام، وظلوا يتوافدون تباعًا فيلثمون يد الشيخ ثم يأخذون مجالسهم، حتى لم يبق في المكان مجلس -بل لقد وقف كثيرون في الأركان وإلى جانب الباب ليمتعوا طرفهم بمرأى الشيخ الذي بقي ساكتًا تاركًا يده متاعًا لمن يلتمسها، مُملسًا أحيانًا على بعض المسلمين عليه، داعيًا للجميع بدعوات الخير والبركة..."[99].

لقد وصف هيكل الشيخ مسعود بالنصب والاحتيال، فكان يستنكر جلوسه على مائدة تضم أصناف شتى من أطايب الأطعمة، وهو الزاهد في الدنيا الذي يدعو إلى الزهد، والترغيب في الجنة والتقرب إلى نعيم الآخرة بالزهد في ملذات الحياة؛ فيقول: "... أي ضمير يسكن قلب مدع لا تربية له ولا أصل عنده، وإنما اتخذ هذه طريقة احتيال يعيش من ورائها. وهل الشيخ مسعود إلا ذلك الرجل الذي صرف بين جدران الأزهر عشر سنين لم يعرف فيها شيئًا، فلما يئس من النجاح، ووجد أباه قد قصر عن أن يمده بمعونة، ترك العلم لمن يفقه العلم، وخرج هائمًا على وجهه، فلبس ما يشبه المسوح، وأرخى شعره واستوحش؟! ولكن هذه الحرفة لم تجده شيئًا، فنظف نفسه بعض الشيء ولبس فوق رأسه عقالًا، وراح بعد ذلك مدعيًا العمومة يعطي عهودًا للمساكين الذين يعتقدون أن "من لا عم له عمه الشيطان".

لم يلق الشيخ مسعود الاستحسان والقبول في نفس حامد؛ بل ولم يقتنع بكراماته كما اقتنع، وآمن بها الكثيرون من الريفيين، فقد وصفه بالاحتيال، والتلاعب بعقول البسطاء، فاتخذها حرفة لفشله في الأزهر الشريف لينال الشهرة، والرزق، والصيت، فأخذ يستنكر موقفه مرارًا وتكرارًا؛ كيف يزهد الحياة ملذاتها؟! ويقبل بوليمة أولمها له الشيخ عامر، فقد وصفه عامر بالشيخ الذي يجمع بين النقيضين.

التصوف

البعض يتناول التصوف وكأنه حرفة من الحرف، إذ هو لا يتصور أن يجمع أحدهم بين التصوف والدهقنة مثلًا، أو التصوف والتجارة، أو التصوف والصناعة. وما دام التصوف لا يمكن أن يزاول حرفة أو تكون له مهنة يأكل منها، وكأن التصوف وظيفته في الحياة لا

([98]) سعيد أبو العنين: رحلة أولياء الله في مصر المحروسة، دار مايو الوطنية للنشر، ص625

([99]) المصدر السابق، ص151

يمكن أن يزاول وظيفة سواها، فمعنى هذا أن يتولى الآخرون إطعامه وسقيه وكسوته وإسكانه؛ لأنه ليس له عمل ولا يشعر بالحرج جراء عدم العمل، بل كل ما يفعله هو أن يعيش في خانقاة يأتيه فيها طعامه وشرابه وكساؤه دون أن يقوم في مقابل ذلك بأي عمل، وهو ما لا يتسق مع الإسلام في شيء[100].

فالمتصوف لابد إذا أقبل على عمل شيء من عبادة أو سعي دنيوي فإنما يقبل عليه بحرارة وإخلاص باذلًا ما لديه من الاستطاعة البشرية في حدود استطاعته، فلابد أن يكون صاحب عمل يعينه على تكاليف الحياة. ولا ينبغي للمتصوف المسلم أن يكون عالة على الناس مثل الشيخ مسعود.

الدخول إلى طريق التصوف والتدرج فيه يتباين من طريقة وأخرى، لكن مفتاح ذلك للطرق الجديدة جميعًا هو الالتزام الديني، والمحافظة على الفروض الدينية، والابتعاد عن المذكرات الدينية، والحفاظ على أوراد الطريقة اليومية وفرائضها. يقسم شيوخ الطرق عمومًا الأتباع إلى عدة أقسام؛ القسم الأول، المحبوك، وهم الغالبية، ممن يأتون إلى جلسات الذكر ويشاركون في الحضرات، لكنهم لا يفصلون الالتزام والانتظام، والقسم الثاني، المديدون، وهم اللذين يواظبون على الصلة بالزاوية وحضور جلسات الطريقة والحضرات، وقد يبايعون الشيخ، والقسم الثالث، فهم السالكون -وهم الأقلية- الذين يبايعون ويلتزمون ويظهرون جدية بالالتزام بالطريقة، وبعضهم يصل إلى مرتبة الشيخ، وتكون علاقته بالشيخ وأبناء الطريقة علاقته عميقة ووطيدة[101].

موقف حامد من الشيخ مسعود وجماعته الذاكرين:

لقد سخر حامد من جماعة الذاكرين المنشدين أسماء الله فيقول: "... وبعد العشاء نصبت حلقة ذكر في ميدان أمام دار العمدة، والتف الناس حول شيخهم وابتدأوا يهتزون ببطء يمينًا ويسارًا. ومن بينهم منشد يرفع صوته بشيء لا هو بالغناء ولا بالحداء، ولكنه مرتب يتفق مع حركات الذاكرين، وتزداد حركتهم حتى ليقول عنهم من لا يفهم أمرهم إنهم جمع من المجانين أو سكارى يرقصون غير واعين. ويحرص هؤلاء الثملة على الاستمرار في جنتهم، فإذا خرج بعضهم عن صوابه صاح ببعض كلمات متقطعة لا معنى لها، فيهدئهم الشيخ بصيحات من جانبه. فإذا ما أحسَّ الشيخ أن قد أُنهكت قواهم أمرهم بالسكوت، ثم ألقى إليهم اسمًا آخر من أسماء الله الحسنى، فيأخذونه ويصيحون، انصرفوا شاكرين منتظرين أن يعيدوا الكرة عليهم يصلون يومًا إلى ما يطلبون..."[102].

---

(100) إبراهيم عوض: في التصوف والأدب الصوفي، مكتبة جزيرة الورد، 4ل2، ص50

(101) محمد أبو رمان: أسرار الطريق الصوفي، مجتمع التصوف والزوايا والحضرات والطرق في الأردن، مؤسسة فريد ريش ايبرت، عمان، الأردن، 2020، ص279

(102) المصدر السابق، ص152

لقد وصف حامد الذاكرين بالسذاجة والسكر والجنون؛ فأنهم لا يدركون ما يقولون تبركًا بما يفعلون، وينظر إليهم شيخهم ساخرًا هازئًا من سذاجتهم، ولكنه بالرغم من معرفته بحال الشيخ من يضبه واحتياله ولكنه ذهب إليه واعترف له بحبه لابنة عمه "عزيزة"، وحبه لزينب وما حدث بينهما، فلم يجد جوابًا شافيًا، فقد أضيف إلى ألمه ألمًا جديدًا، فيقول: "ولكن ما كاد تقلص ظل النهار حتى راجع حامد كل الألم الذي كان عنده، وفوقه ألم جديد أنه اعترف بها لمن لا يفهمها، ومن لا يجيبه عنها إلا بكلمة (نعم) ولا يقدر له على شيء، ثم أليس عار أن يتعهد لإنسان مثل هذا الأبله بأن يعمل خيرًا؛ أو لم يمس في ذلك شرف نفسه وضميره، أفٍ لهذا الرجل الأبكم الكذاب ... وبلغ به الحنق ضد الشيخ مسعود، فلو أنه كان واقفًا أمامه لهان عليه أن يقتله، ولكن رجع فهدأ من حدته وعاد باللائمة على نفسه ..." [103].

كان حامد يعلم علم اليقين كذب هذا الشيخ، ولكن الكاتب أراد أن يذهب حامد بطل الرواية إليه حتى لا يجد جوابًا شافيًا لألمه ليؤكد للقارئ أن هؤلاء الشيوخ يتصفون بالدجل.

الحسد:

يعتقد المصريون كثيرًا في الحسد، وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عنده خاصية في عينه إذا نظر إلى شيء أماته أو أتلفه، ومن غريب الأمر أن رجلًا عظيمًا كابن خلدون يحكي مثل هذا، ويقول إنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف أو نعجة نظرة خاصة أماتها، ويعتقد المصريون أن الحسد سكون على أثمه إذا نظر الحاسد وتشفع نظرته بالشهيق، وكان من الشائع عند النساء إذا نظر رجل تلك النظرة قالت له: "وراك ثعبان أو عقربة أو فار، فيلتفت وراءه لينظر إليه، وبذلك يذهب سحر عينه[104].

سمات الحاسد في المعتقدات الشعبية:

إن الحاسد هو ذلك الشخص الذي لديه القدرة على إتيان الآخرين مع تمني زوال النعمة عنهم، ويرمز إليه في أغلب المجتمعات بالعين، ففي المجتمعات العربية يستخدم لفظ "العين" وعين الحاسد[105].

وهناك بعض الفئات ارتبطت في المعتقدات الشعبية بقدرتها على إيذاء الآخرين بالنظرة الحاسدة، منها النساء حيث يعتقد إنهم أكثر قدرة على الحسد؛ لأنهن يتوحدن في وظائف محددة في المجتمع بمقارنتهن باتساع المجال فيما يتعلق بأدوار الرجال، ومن ثم فإن أية معوقات اجتماعية أو فيزيقية تمنعهن من أداء وظائفهن تؤدي إلى مشاعر سلبية تجاه الآخرين[106].

([١٠٣]) المصدر السابق، ص 154

([١٠٤]) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مرجع سابق، ص172

([١٠٥]) محمد أحمد غنيم، فاتن محمد شريف: السحر والحسد في المجتمعات الريفية، ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص15

([١٠٦]) المرجع السابق نفسه، ص16

تصاب زينب بمرض السل، ولكن الجميع اعتقدوا أن زينب قد أصيبت بالبرد؛ لقدرة هذا المرض في القرى المصرية، حيث الهواء الطلق والشمس الدائمة والحياة الهادئة، فعندما اشتد عليها المرض لم يتصوروا أنها مريضة بهذا المرض، وحسبوا أنها محسودة من عين خبيثة، فيقول هيكل:

"... في هاته القرى المصرية، حيث الهواء الطلق والشمس الدائمة والحياة الهادئة، قل أن يتصور إنسان مرضًا كالسل، وغاية ما يصل إليه خيالهم أن يحسبوا المصاب به محسودًا من عين خبيثة ... فكانا يعزوان ما هي فيه من ضعف ومن تحول إلى حسد حاسد..."[107].

كانت "أم جارية" تبخر زينب لدفع العين الحاسدة امتثالًا لشفائها من هذا المرض.

الرقي والبخور:

إحدى صور التعاويذ التي تمارس لدرء الحسد، ولقد مارس المصريون القدماء الرقي لدرء الحسد والعين الشريرة، وهي صيغة شعائرية، تتلى أثناء القيام ببعض الطقوس والممارسات بدءًا بوضع البخور المكون من مجموعة أعشاب لها رائحة زكية وكسبرة، والحبة الحمراء (عين العفريت)، اللبان، والشيخ بالإضافة إلى الملح على النار -توجد رمزية الاحتراق للعين الحاسدة في أغلب المجتمعات- والشخص المحسود أو تدور بها السيدة في أنحاء المنزل، مع ذكر بعض الآيات القرآنية وبخاصة المعوذتان، وبعض الأدعية الخاصة[108].

"... ومن وقت لآخر كانت أم جازية تبخر زينب، وتضع لها في النار قطعة من الشبة، فتحترق وتتحول إلى شكل آخر يتصورون فيه إنسانًا ممن يعرفون ويعتقدون أنه الحاسد اللعين، ومن أجل أن تبطلا حسده تتفلان عليه، لكن ذلك كله لم يجدي، والمرض الذي وقعت فيه زينب نتيجة أشجانها الطويلة وأحزانها، وبعد أن قضت الليالي الطوال ساهرة بين يدي الألم..."

كانت محاولات "أم جازية" محاولات فاشلة، فكادت تشعل لها البخور وتحرقه، وتدفق النظر في الشكل المحروق المتمثل أمامهم نتيجة حرق البخور، ولكن السبب الحقيقي يرجع إلى عذاب حبها لإبراهيم وأحزانها لفراقه، فكانت معذبة بذلك الحب الذي لم يكلله الارتباط، والزواج، فكان مرضها وليدًا لعذاب الهجر والفراق.

حاولت الأم أيضًا اتباع طريقة أم جازية في الرقى والبخور، ولم تنجح هي أيضًا بل تزايد، واشتد عليها ألم المرض فيقول:

([107]) المصدر السابق،

([108]) المصدر السابق، ص182

"جلست أمها إلى جانبها وقد أحرقت البخور والشبة مرات لم تنتفع منه بشيء، وهي في كل لحظة عرضته لآلام قبل لها بها. فإذا ما رأت زينب تبصق دمًا يخالطه شيء من الصديد..."[109].

لم يقتنع والد حسن ووالدته بمرض زينب، ورفضا إحضار الطبيب لها، فكانا يكرران الرقى وحرق الشبة فيقول: "فلما بلغ بحسن اليأس، ولم يعد يرى في الجو المحيط به إلا ألمًا، ذهب إلى دار العمدة فوجده وقص عليه الخبر فأنكر عليه العمدة أن تركها حتى الساعة من غير أن يراها الطبيب، لكن الذنب في ذلك ذنب أبويه اللذين كانا يكرران كلما أشار حسن هذا: "الحكيم ربنا... ربنا يشفي"، وانطلق العجوز ببخورها وتحرق شبتها وتقنع نفسها والآخرين أن البنت محسودة وأن ذلك سيزول قريبًا إن شاء الله..."[110].

الخلاصة:

لقد عرض هيكل نماذج من المعتقدات الشعبية التي كانت سائدة في تلك الحقبة تتمثل في: الاعتقاد في أولياء الله، الحسد دون الأخذ بالأسباب.

ولكنه كان يعرض تلك المعتقدات الشعبية وإيمان الأهالي بها، ولكن كان يزدري كل معتقد؛ إتباع الناس للشيخ مسعود ولم يحمد عقباه، وعندما قص عليه حامد الأمام حبه مع ابنة عمه عزيزة، ونزواته مع زينب؛ لم يشف عذابه، ولكنه ازداد ألمًا لأنه أباح له أسراره.

اعتقاد الناس في الرقي وحرق البخور لدرء العين الحاسدة، لم تتماثل زينب للشفاء، فهذه المعتقدات لم تشف زينب بل تدهورت حالتها الصحية حتى وافتها المنية، ويرجع السبب للاعتقاد المبالغ فيه بالحسد، وإهمال دور الطب والدواء في الشفاء وهكذا أراد الكاتب إلقاء الضوء على الجانب الفكري المظلم للمجتمعات الريفية.

([109]) محمد أحمد غنيم، فاتن محمد شريف: المرجع السابق، ص39

([110]) المصدر السابق نفسه، ص182 نفس الصفحة

العناصر الفنية في رواية "زينب"

العـنوان

يُشار إلى أنّ هذه الرواية أثارت اهتمام الدارسين والنقاد بدءًا من عنوانها (زينب مناظر وأخلاق ريفية)، وقد جاء العنوان مُمهدًا لما أراد الكاتب إيصاله؛ أي وصف الريف المصري وحياة الناس فيه من خلال عاطفة الحب.

المكان

تدور أحداث هذه الرواية في الريف المصري، ويُشير الدكتور معراج أحمد الندوي إلى أنّ محمد حسين هيكل اختار هذا المكان بالتحديد لما يمثله من أصالة الشخصية المصرية وعاداتها وتقاليدها، وهذا مما أراد المؤلف أن يوضحه خلال صفحات روايته هذه.

الشخصيات الرئيسية

دارت أحداث رواية زينب بين عدد من الشخصيات الرئيسة، وهي:

زينب: هي بطلة الرواية والشخصية التي تؤدي دورًا أساسيًا ومحوريًا في أحداثها، وهي فتاة مصرية جميلة تتعيش في إحدى القرى الريفية في مصر مع والدها وأخيها وأختها، تعمل في مزرعة السيد محمود وتتعرف على ابنه الشابّ (حامد) وتُعجب به.

حامد: يعدّ من الشخصيات المهمة في الرواية، وهو الابن الأكبر للسيد محمود، كان يحب البقاء في البلد وبين الناس، على عكس إخوته الذين كانوا يفضلون التنقل في المزارع، ويشار إلى أنّ حامد يُعجَب بجمال زينب وأخلاقها لكنه لا يتزوجها.

الشخصيات الثانوية

دارت أحداث رواية زينب بين عدد من الشخصيات الثانوية، وهي:

إبراهيم: هو أحد العاملين في مزرعة السيد محمود، وهو مسؤول عن الفلاحين وشؤونهم، يقع في حب زينب لكنه لا يتزوجها، وفيما بعد يسافر للخدمة العسكرية تاركًا بصمته في حياة زينب.

حسن: يعد حسن شخصية بسيطة من عائلة غنية، يعمل في أحد المزارع الموجودة في قريته.

عزيزة: هي ابنة عم حامد، الذي أحبها لكنه لم يتزوجها، وكانت عزيزة تأتي في زيارة إلى القرية للراحة والابتعاد عن فوضى المدينة.

السيد محمود (والد حامد): يعد من كبار رجال القرية وشيوخها وأحد الأغنياء المصرين، يملك مزرعة كبيرة لتنقية القطن، ويمثل السيد محمود الشخصية الطيبة والحنونة في الرواية.

خليل (والد حسن): هو من رجال القرية وشيوخها، يعيش في منزل كبير مع أفراد عائلته، ويقرر أن يزوج ابنه حسن من زينب.

والد زينب ووالدتها: هما من رتّبا أمر زواج ابنتهما زينب من حسن.

الأحداث الرئيسة

يحكي الكاتب في هذه الرواية قصة زينب الفتاة المصرية البسيطة القروية التي أحبت إبراهيم الفلاح البسيط الذي يعمل معها في مزرعة السيد محمود، وكان إبراهيم يعبّر لها عن مدى حبه لها، لكنهما لم يتمكنا من إتمام هذا الحب والزواج؛ لأنّ والدي زينب قررا تزويجها من شخص غني لا تحبه؛ لأنه يستطيع أن يقدم لها المهر وليس كحبيبها الفلاح الفقير، وبالرغم من ألمها وحزنها للبعد والفراق عن حبيبها غير أنها استسلمت لرغبة والديها.

كما يُذكر الكاتب قصة حامد وحبه لابنة عمه عزيزة لكنه لم يستطع الزواج بها، ويلتقي مع زينب لمدة وجيزة، فهي من الفتيات اللواتي كان يغازلهنّ حامد لكنه لم يتزوجها، فيعيش حالة من اليأس والإحباط.

العقدة والحبكة

تتزوج زينب من حسن الذي كان مستواه المعيشي أفضل من إبراهيم، وبالرغم من حبها الكبير لإبراهيم تبذل زينب كل ما في وسعها لتكون زوجة وفية لحسن الذي كان يعاملها بكل رفق وحنان وحب، ويسافر إبراهيم للخدمة العسكرية تاركًا بصمته في حياة زينب.

الحل

تصاب زينب بمرض السل، ويصبح جسدها نحيلًا وهزيلًا، وذلك بعد ذهاب حبيبها إبراهيم، وبينما هي تلفظ أنفاسها الأخيرة توصي أن يُدفن منديل إبراهيم معها في جو يعمّه الحزن والألم، كما توصي والدتها بعدم تزويج إخوتها رُغمًا عنهم، وهذه النهاية المأساوية تلحق كل أبطال الرواية؛ فإبراهيم يبقى في مكان بعيد بعد أن ذهب للخدمة العسكرية، في حين تتزوج عزيزة من شخص لا تحبه وتنقطع أخبارها، أما حامد فيسافر إلى القاهرة ويبعث برسائل يطرح فيها أفكاره حول المجتمع الريفي الذي حرمه من حبّ حياته، ويعبّر عن طموحه بمغامرة تعويضية من مكان مجهول.

يُلاحظ بعد قراءة رواية زينب أنها اتسمت بعدد من السمات والخصائص الفنية، منها على سبيل الذكر لا الحصر ما يأتي:

1. التخلص من سيطرة السجع وأسلوب المقامات الذي كان شائعًا في فترة ما قبل كتابة هذه الرواية.
2. استخدام الكثير من الألفاظ والعبارات العامية.
3. استخدام بعض الإيحاءات التعبيرية التي تُصف منظر الريف وأخلاق الريفين.
4. الوصف الدقيق للمجتمع المصري وطبيعته، خاصةً الريف المصري.
5. الاعتماد على المرجعية الاجتماعية في رسم الشخصيات.

الخاتمة:

وبعد أن أتم الله عليَّ بحثي، فإني قد قمت به على النحو التالي:

كان البحث عبارة عن مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس وبيانها كالتالي:

- المقدمة: وتضمنت أهمية الدراسة، مشكلة البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث.
- المدخل: وعرضت فيه محمد حسين هيكل وإبداعه، التراث (المفهوم والمصطلح) – مضمون الرواية.
- المبحث الأول: بعنوان تجليات التراث الديني والتاريخي في رواية زينب ويتضمن الآتي:
  - أولًا: التراث الديني.
  - ثانيًا: التراث التاريخي الاجتماعي.
- المبحث الثاني: بعنوان العادات والتقاليد في رواية زينب ويتضمن الآتي: مفهوم العادات والتقاليد.
  - أولًا: الزواج.
    - تعدد الزوجات
    - زواج الأقارب
    - سن الزواج
    - مراسم الزواج
  - ثانيًا: العادات والتقاليد الجنائزية.
    - التجهيز للمأتم
    - تلاوة القرآن
- المبحث الثالث: بعنوان المعتقدات الشعبية في رواية زينب ويتضمن الآتي:
  - أولًا: التبرك بأولياء الله الصالحين
    - تبرك الريفيين بأولياء الصالحين
    - التصوف
    - المتصوف
    - موقف حامد من الشيخ مسعود وجماعة الذاكرين
  - ثانيًا: الحسد
    - سمات الحاسد في المعتقدات الشعبية
    - الرقى والبخور

وأخيرًا الخاتمة، واشتملت على أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع، والفهارس:

وفيما يلي أهم النتائج التي انتهى البحث إليها:

1) تأثر محمد حسين هيكل بالريف المصري منذ نعومة أظافره؛ مما أثر في إنتاجه، فرواية زينب تعد ثمرة نشأة هيكل.
2) رواية زينب صورت الريف المصري وما يشمله من أحداث اجتماعية وموروث ثقافي واجتماعي، وعادات وتقاليد، بل أثرت في اختيار عنوان روايته؛ فقد لقبت بـ(فلاح مصري) ثم أطلق عليها في نهاية المطاف "زينب".
3) تميز عنوان روايته بالإيجاز وشمولية المحتوى، فهذا المسمى يثير في المتلقي تساؤلات وأفكار شتى تجاه مضمون الرواية.
4) تميزت رواية زينب بالإبداع الفني حيث تخلص من سيطرة السجع وأسلوب المقامات التي كان شائعًا في فترة ما قبل كتابة هذه الرواية.
5) استخدم الكثير من الألفاظ والعبارات العامية، ووصف الريف وصفًا دقيقًا وأخلاق الريفيين الوصف الدقيق للمجتمع الريفي المصري بما يحمله من عادات وتقاليد خصوصًا طبيعة الريف المصري.
6) القارئ لرواية زينب تتجلى له بوضوح حرص الروائي على توظيف التراث الديني في روايته.
7) اختزان الرواية النصوص القرآنية، والمعاني مستوحاة من القرآن الكريم، والإيحاءات والأفكار متعددة، ولعل السبب يرجع إلى إيمانه بأن الاستلهام من القرآن الكريم أولًا، ثم الحديث الشريف له بالغ الأهمية في المجتمع الشعبي، فالشعوب تواقه لمن يضرب على أوتار مآسيها.
8) لا تكاد تخلو رواية زينب من الاستلهام الديني، وربما نجد مواقع عدة من الرواية متناصة من القرآن متناثرة في ثنايا سطور روائية تضفي على مضمونها ثراءً.
9) كان هيكل فلاحًا مصريًا أصيلًا، فقد عبر عن الحالة التاريخية والاجتماعية التي كان يمد بها الشعب المصري، فقد ظل حال الفلاح المصري من ظلم واستبدال حتى جاء الرئيس عبد الناصر.
10) الفلاح المصري متأصل بالوطنية تسري في دمائه مهما اختلفت أحوال البلاد سواء كانت له أم عليه، فهو يضحي دائمًا وأبدًا من أجل بلاده.
11) المجتمع المصري يتميز بتنوع عاداته وتقاليده وعراقتها واختلافها من زمن إلى زمن، فالعادات والتقاليد تتباين بين الريف والحضر.
12) سن الزواج في الريف مرتبط بالنضوج الجسدي للفتاة، فالسن ليس مقياسًا لارتباط الفتاة بخلاف المجتمع الحضري الذي يحكمه عوامل كثيرة.

13) الدين الشعبي من أهم المعتقدات الشعبية لدى الريفيين باختلاف طبقاتهم المتفاوتة بين الفقر والثراء، والتعليم والأمية، فقد شغل الريفيون عقيدة التبرك بأولياء الله الصالحين.
14) عرض هيكل نماذج من المعتقدات الشعبية التي كانت ساندة في تلك الفترة، فقد أراد الكاتب إلقاء الضوء على الجانب الفكري المظلم للمجتمعات الريفية من خلال إيمانهم المطلق المغيب بأولياء الله، واعتقادهم المبالغ فيه بالحسد، وإهمال الطب ودوره في الشفاء.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولًا: المصادر.

1) محمد حسين هيكل: زينب، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، القاهرة، 2018

ثانيًا: المراجع.

2) إبراهيم عوض: في التصوف والأدب الصوفي، مكتبة جزيرة الورد.

- محمد حسين هيكل أديبًا وناقدًا ومفكرًا إسلاميًا، مكتب الزهراء، 1998.

3) ابن منظور: لسان العرب، المجلد15، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003، مادة ورث.

4) أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

5) أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2000.

6) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم 2012.

7) أحمد سويلم، سليمان القلشي: الجيش المصري خير أجناد الأرض، دار الدلتا للنشر، ط1، 2017.

8) أحمد عوين: اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، 2010.

9) أحمد كاظم جواد المعموري: الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، دار الرضوان للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2012.

10) بدر بن عبد الله البدر: الدعوات الكبير، ج1 دار غراس للنشر، ط1، 2009.

11) توفيق الحكيم: - عصفور من الشرق، دار الشروق، ط10.

- وثائق في طريق عودة الوعي، دار الشروق، ط3.

12) حسن عبد الحميد أحمد رشوان: الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، 2006.

13) حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث، بتصرف، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2015.

14) خديجة لبيهي: المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة وادي سوف أنموذجًا، أطروحة دكتوراة، 2014/ 2015.

15) رفيق حبيبة: في فقه الحضارة العربية الإسلامية إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

16) سعد سلام: التناص التراثي في الرواية الجزائرية، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2010
17) سعيد أبو العنين: رحلة أولياء الله في مصر المحروسة، دار مايو الوطنية للنشر
18) صلاح فضل: إنتاج الدلالة الأدبية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط2، 2002.
19) عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة) عالم المعرفة، 1984.
20) عبد السلام هارون: قطوف أدبية، دراسات نقدية في التراث حول تحقيق التراث، الدار السلفية لنشر العلم، ط1 نوفمبر، 1988
21) عبد العزيز شرف: محمد حسين هيكل والفكر القومي المصري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.
22) فتحي رضوان: عصر ورجال، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008.
23) فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، 2002.
24) فهمي جدعان: نظرية التراث، دار الشروق، ط1، عمان الأردن، 1985.
25) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية مع لجن ميداني لبعض العادات، دار النهضة بيروت، 1980.
26) مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، ط2، 1984.
27) مجمع اللغة العربية: معجم مصطلحات الأدب، إشراف فاروق شوشۃ، محمود مكي، القاهرة،2007
28) محمد أبو رمان: أسرار الطريق الصوفي، مجتمع التصوف والزوايا والحضرات والطرق في الأردن، مؤسسة فريد ريش ايبرت، عمان، الأردن، 2020.
29) محمد أحمد غنيم: العادات والتقاليد في دلتا مصر (الدورة الحياة في قرى الدقهلية، عين الدراسات والبحوث) ط1، 2005.
30) محمد أحمد غنيم، فاتن محمد شريف: السحر والحسد في المجتمعات الريفية، ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية
31) محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب، القاهرة، ج1، 1978.
32) محمد الجوهري: علم الفلكور، دراسات في الأنثربيولوجيا الثقافية، دار المعارف الجامعية الإسكندرية، 1988.
33) محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري تم: بشار عواد معروف، عصام فارس، مجلد، مؤسسة الرحالة، 1994.
34) محمد حسين هيكل: مذكرات الشباب، المجلس الأعلى للثقافة، 1996.
35) محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

36) محمد صعيدي: العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة لاحتفالية بالأعياد أنموذجًا، إنسانيات عدد جالفي، أفريل، 1998.

37) محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991.

38) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004.

39) مفقودة صالح: رواية زينب لمحمد حسين هيكل بين التأسيس والتبيس، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد حيضر لسكره، ع 10، نوفمبر 2006.

40) نعيم اليافي: أوهاج الحداثة، دراسة في القصيدة المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1993.

41) نواف نصار: معجم المصطلحات الأدبي، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

42) يمني العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

43) فايزة أسعد: العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقارنة سوسيو انثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجًا، رسالة دكتوراة في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2012، 2011.

44) أبوزيد رحمون، الأمثال الشعبية في الجزائر، دراسة موضوعاتية جمالية، أطروحة دكتوراة في الأدب العربي، 2015/ 2016.

45) إسلام فادي، سمية عروة: توظيف التراث الديني في رواية (قاتل حمزة لنجيب الكيلاني) مذكرة ضمن متطلبات نيل درجة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، كلية الآداب، 2017، 2018.

46) أونيسة مرنيش: الزواج بين الأقارب في الوسط الحضري بين التقليد والتغير، دراسة ميدانية بمدينة عناية، مقدمة لنيل الماجستير، جامعة باجي مختار.